لغز اختفاء الخنفس



محمود سالم

لغز اختفاء الخنفس

تأليف
محمود سالم



لغز اختفاء الخنفس

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٣٥٠ ٦

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

مؤتمر الأرانب

استيقظ «تختخ» على صوت والدته في الدور الأول وهي تُصدر أوامرها إلى الشغَّالين في البيت، وهكذا كان كل شيء في البيت يُعاد ترتيبه وتنظيفه.

وكان على «تختخ» أن يذهب مع والده إلى محطة السكة الحديد؛ لاستقبال صديق والده الدكتور «الفار» وابنته «نازك».

نزل «تختخ» إلى الدور الأرضي حيث أفطر هو ووالده ووالدته، وتبادلوا بعض الحديث حول الضيفَين القادمَين، فقال والده: لقد كان الدكتور «الفار» زميلي في الدراسة، وكنا نجلس على مقعدَين متجاورَين، وقد اتجه إلى دراسة الحيوان، وأصبح خبيرًا في علوم التشريح.

قال «تختخ» ضاحكًا: من المدهش أن يكون اسمه الدكتور «الفار»، وهو في نفس الوقت خبيرٌ في الحيوان. إن هذا ما يُسمَّى «اسم على مسمى».

ردَّ والده بابتسامةٍ قائلًا: في الحقيقة إن صديقي الدكتور «الفار» طالما تلقَّى التعليقات الضاحكة والنكات الساخرة على اسمه، وفي البداية كان يتضايق وكثيرًا ما تخانق وتعارك، ولكنه في النهاية أصبح يضحك معنا، كلما تلقَّى تعليقاتٍ ساخرةً على اسمه.

تختخ: ولكن ما أهمية هذا المؤتمر الذي يُعقد هنا في المعادي؟ إنني أرى الصحف تُبدي اهتمامًا كبيرًا به.

قال والده: إن بعض الحيوانات تمتاز بأن لها أجهزةً تُشبه أجهزة الإنسان مثل الفئران، والأرانب، والقرود؛ ولهذا يستخدمها العلماء والأطبَّاء لإجراء التجارِب عليها عند تحضير دواء جديد، أو إجراء عملية جراحية مبتكرة. وهذا المؤتمر يحضره عدد من أساتذة

الجامعات المصرية والأطبَّاء المصريين؛ لإلقاء سلسلة من البحوث عن الأمراض، وعن الثروة الحيوانية في مصر.

تختخ: سوف تمتلئ المعادي بذوي النظارات، وذلك منظر مسلٍّ حقًّا.

قالت والدته: المهم بالنسبة لك أن تجعل إقامة «نازك» في المعادي ممتعة، إنها في مثل سنك، وهي ظريفة جدًّا، وقد أحببتها عندما زرت منزلهم في الإسكندرية، وقد أكرموني أنا ووالدك جدًّا، ويُهِمُّني أن تضع لها برنامجًا لزيارة المعادي.

تختخ: من حسن الحظ أن هناك حديقة ملاهٍ مقامة قرب مكان انعقاد المؤتمر، وسوف أطلب من «نوسة» و«لوزة» اصطحابها للذهاب إلى هناك، وستسرُّها طبعًا هذه الزيارة.

ردَّت والدته معاتبة: قلت لك يا «تختخ» عشر مرات أن تهتم أنت بها. إنني أُريدها أن تشعر أنها في بيتها، وأنها موضع رعايتنا.

تختخ: لقد قلت لكِ بصراحةٍ يا ماما إنني لا أُحب إضاعة وقتي في اللعب والجري هنا وهناك. إن عندي بعض الكتب التي أُريد الانتهاء من قراءتها قبل موعد الدراسة.

الوالدة: إنك تتهرَّب من القيام بواجب الضيافة، وكل ما أرجوه منك أن تُقسِّم وقتك بين قراءتك وبين ضيفتك.

انتهى الإفطار، وخرج «تختخ» مع والده إلى المحطة لانتظار الضيفَين، وهو يشعر بالضيق لأنه مضطرٌّ للقيام بهذه الواجبات الثقيلة. وعندما وصلا إلى المحطة كان القطار قد أقبل من بعيد، فوقفا ينظران إليه حتى توقَّف، ثم تقدَّما إلى نافذةٍ في إحدى عربات الدرجة الأولى، كان يقف فيها الدكتور «الفار» وابنته.

كان الدكتور «الفار» رجلًا متوسِّط القامة، أسمر اللون، غزير شعر الرأس والشارب، يلبس نظارةً طبيةً سميكة، وبرغم حرارة الصيف كان يلبس بذلةً سوداء كاملة. أمَّا «نازك» فكانت فتاةً سمراء كوالدها، ولاحظ «تختخ» أن وجهها الصغير ينطق بالذكاء والشقاوة.

تبادل الأربعة التحيات، وحمل «تختخ» حقيبةً ثقيلة، ثم خرجوا جميعًا حيث ركبوا سيارة والده.

جلس «تختخ» و«نازك» في المقعد الخلفي معًا، في حين جلس الدكتور «الفار» بجوار والد «تختخ» في المقعد الأمامي، وكانت فرصةً متاحةً للحديث، وقد بدا واضحًا أن «نازك» قد انتهزت الفرصة فورًا؛ فقد انطلقت تسأل عشرات الأسئلة دون أن تنتظر الإجابة، فقالت: هل المعادي واسعة؟ وهل صحيح أن لكل منزلٍ فيها حديقة؟ وهل هناك أماكن للتفرُّج والنزهة؟ وهل صحيح أنك تشترك في مغامراتٍ بوليسية مع أصدقاء لك؟ لقد سمعت من

والدتك أنك تُسبِّب لها متاعب كثيرةً باشتراكك في حل الألغاز الغامضة، فهل أنت تشترك الآن في حل لغز؟ إنني أُريد أن أشترك معكم، هل عندكم مانع؟

أدرك «تختخ» أن ضيفته من النوع الثرثار المزعج؛ فأحسَّ بالانزعاج من الأيام القادمة، وما سيحدث فيها، وعادت «نازك» إلى الحديث قائلة: لماذا لا ترد؟ لماذا أنت سارح؟ قال «تختخ» في صبر: سوف أُقدِّمك لأصدقائي «نوسة» و«مُحب» و«لوزة» و«عاطف»، وسوف تقضين معهم وقتًا مسليًا في النزهة والتفرُّج على المعادي.

لم تكتفِ الضيفة الصغيرة بهذا الرد فانطلقت تقول: ولكنك لم تردَّ على سؤالي المهم، هل ستُشركني في مغامرةٍ من مغامراتكم؟

تختخ: إن المغامرات لا تُباع في المحلَّات حتى أذهب وأشتري مغامرةً تشتركين فيها. إنها أشياءُ تحدث بالمصادفة، فإذا وقعت مغامرة وأنت موجودة فستشتركين فيها، إذا كان لك دور أو نحتاج إليك لعملٍ ما.

عادت «نازك» إلى الحديث السريع قائلة: إنني أفهم في الألغاز والمغامرات؛ فقد قرأت كتبًا كثيرةً عن المغامرين المشهورين، وأعرف كيف أجمع الأدلة، وأُرتِّب الحوادث، وأستخرج الاستنتاجات، وسوف أُساعدكم فعلًا.

ردَّ «تختخ» بكلمةٍ واحدة: عظيم.

كانت السيارة قد وصلت إلى الفيلا فنزلوا جميعًا، وحمل «تختخ» الحقيبة الثقيلة مرةً أخرى وهو متضايق، في حين مضت «نازك» تتحدَّث: إنها فيلا جميلة فعلًا، وبها حديقة ممتازة، ذلك شيءٌ يبعث على الابتهاج؛ فإننا نسكن في شقةٍ صغيرة مزدحمة، ولا أجد مكانًا ألعب فيه.

تختخ: إن الحديقة كلها لك، وفي إمكانك أن تقضي كل إجازتك فيها.

وكانت والدة «تختخ» تقف على السلم في انتظارهم، فرحَّبت بالضيفَين، وجلسوا جميعًا يتحدَّثون عن الرحلة، فانتهز «تختخ» الفرصة وتسلَّل صاعدًا إلى غرفته.

لم تمضِ دقائق على دخوله الغرفة حتى سمع نقرًا على الباب، ثم دخلت «نازك» قائلة: ماذا حدث؟ لقد تركتنا دون أن نُحس، هل أنت تعبان؟ هل تشعر بشيء؟ هل درجة حرارتك مرتفعة؟

ودون انتظار للرد تقدَّمت بسرعة، ثم وضعت يدها على جبهة «تختخ» وقالت: إن حرارتك عادية، فهل تشعر بصداع؟

قال «تختخ» وقد نفد صبره: نعم إنني أشعر بصداعٍ شديد، وأحتاج إلى الراحة.

قالت «نازك»: على العكس، إنك محتاجٌ إلى الحركة لتنسى الصداع، وسوف أُحضر لك قرصَين من الأسبرين وكوبًا من الماء، وسآتي فورًا. ثم انطلقت من الباب كالسهم، وسمع صوت قدمَيها على السلم وهي تنزل مسرعة.

أخذ «تختخ» يهز رأسه وهو يقول في نفسه: هذه كارثة حقيقية، مصيبةٌ نزلت على رأسي، ماذا أفعل الآن؟

وقبل أن يجد إجابة، كانت «نازك» قد عادت وبيدها الأسبرين والماء، ولم تنتظر كلمةً واحدة، لقد أسرعت تُناوله الأسبرين، وتضع كوب الماء على شفتَيه، وقبل أن يُدرك «تختخ» ماذا حدث كان قد ابتلع قرص الأسبرين، وهو يشعر أنه أشقى إنسانٍ في العالم!

قالت «نازك»: ستُصبح على ما يرام بعد قليل، والآن تعالَ نخرج قليلًا.

ردَّ «تختخ»: ألن ترتاحي قليلًا من السفر؟ إن أمامنا وقتًا طويلًا للخروج والنزهة.

نازك: إنني لا أُحب إضاعة الوقت، هيا بنا نزر أصدقاءك ونتعرَّف بهم.

كان هذا حلًّا معقولًا بالنسبة لـ «تختخ» يتخلَّص به من هذه الثرثرة القاتلة، فوافق على الفور ونزلا معًا، واتجها إلى منزل «عاطف» حيث كان الأصدقاء يجتمعون في الحديقة، في ظل الأشجار الكبيرة التي تتميَّز بها حديقة منزل أسرة «عاطف».

ووجدا الأصدقاء الأربعة هناك؛ «مُحب» و«نوسة» و«عاطف» و«لوزة»، الذين استقبلوا «نازك» استقبالًا حافلًا، وجلسوا جميعًا يتحدَّثون، أمَّا «تختخ» فجلس صامتًا وهو يُفكِّر في الأيام القادمة، وفجأةً هبطت عليه فكرةٌ رائعة؛ إن «نازك» تُريد أن تشترك في حل لغزٍ غامض، أو في مغامرةٍ مثيرة، وهو سيُقدِّم هذا اللغز؛ سيُقدِّم لها لغزًا غامضًا وصعبًا تنشغل به، وتبتعد عنه، وابتسم «تختخ» لأول مرة في هذا اليوم، وبدأ يشترك في الحديث مع الأصدقاء.

متشرِّدٌ في الحديقة

انشغل والد «تختخ» ووالدته بالدكتور «الفار»، وتركا لـ «تختخ» مهمة العناية بـ «نازك»، وهكذا ظلَّت تتبعه كظله طوال ذلك اليوم، وتُتابعه بالحديث عن المغامرات والألغاز، ورغبتها في الاشتراك مع الأصدقاء الخمسة في حل لغز، أو القبض على لص. وكانا قد عادا للغداء، وبعد الانتهاء منه جلسا في الحديقة، فقال «تختخ» لـ «نازك»: سأصعد إلى غرفتي لأرتاح بعض الوقت، وأعتقد أنك أيضًا في حاجةٍ إلى الراحة، وسنلتقي مرةً أخرى في المساء هنا في الحديقة.

ولدهشة «تختخ» وافقت «نازك» قائلة: لا بأس؛ فسوف أصعد إلى غرفتي لأُنظِّم ثيابي وحاجاتي بها، وأُغيِّر ملابسي.

وكان «تختخ» يُريد أن يرتاح قليلًا، وفي نفس الوقت يُنفِّذ خطته التي فكَّر فيها للتخلُّص من إلحاح «نازك» وثرثرتها المتصلة.

قرب السابعة، وقد بدأت الشمس تسير نحو المغيب، أغلق «تختخ» باب غرفته بالمفتاح من الداخل، ثم فتح دولاب ملابس التنكُّر، وأخذ يختار بعنايةٍ بعض الملابس القديمة التي تُناسب شخصية المتشرِّد، ثم وقف أمام المرآة، فوضع باروكة الشعر الخشن وشاربًا مناسبًا، ثم استخدم كل براعته في رسم جرح على وجهه يبدأ تحت عينه اليسرى، ويمتد إلى فمه، ممَّا جعل منظره مخيفًا وشرسًا.

وبعد أن اطمأن إلى أنه أجاد تنكُّره، أطلَّ بحذرٍ من النافذة، فوجد «نازك» تجلس في الحديقة تنتظره كما اتفقا، ففتح الباب في هدوء، وتسلَّل نازلًا من السلم الخلفي إلى الطرف البعيد للحديقة، وكان الظلام قد بدأ يهبط، فانتظر قليلًا خلف إحدى الأشجار العالية، وأخيرًا قرَّر أن يلفت نظر «نازك» إليه، فأطلق سعالًا قويًّا سمعتْه فورًا، والتفتتْ إليه.

كانت خطة «تختخ» تسير بدقة؛ فقد وقفت «نازك» تنظر إلى الشجرة التي سمعت السعال يأتي من اتجاهها، وفي هذه اللحظة ظهر «تختخ» أمام الشجرة، ونظر إلى «نازك» نظرةً مخيفة، ثم أطلق ساقَيه للريح، وفتح باب الحديقة الخلفي وانطلق يجري، والفتاة تنظر إليه مذهولة، وقد فقدت قدرتها على الكلام والحركة!

جرى «تختخ» قليلًا حتى ابتعد عن الفيلا، ثم أخذ يسير ببطء، وهو يبتسم ويتصوَّر ما ستفعله «نازك»، وقرَّر ألَّا يعود إلى البيت إلَّا بعد أن يهبط الظلام تمامًا، ليتمكَّن من العودة إلى غرفته دون أن يراه أحد، وكم كانت دهشة «تختخ» عندما التقى بعد قليلٍ بالشاويش «فرقع»، وهو يقود دراجته بسرعة، حتى كاد يصطدم به! ولم يكد الشاويش يرى وجهه في ضوء المساء الخفيف، حتى حاول إيقاف دراجته المسرعة، ولكن المحاولة انتهت بوقوع الشاويش على الأرض، بعد أن جذب الفرامل بسرعة، وفي نفس الوقت كان «تختخ» قد اتجه إلى أقرب شارع، وأسرع يختفي بين المارة وقد اتسعت ابتسامته.

قضى «تختخ» ساعةً يتجوَّل، ثم عاد متسلِّلًا إلى الفيلا. كانت الحديقة خالية، فدخل من الباب الخلفي، ثم صعد السلم الخارجي، وبعد لحظاتٍ كان منهمكًا في إزالة تنكُّره وارتداء ملابسه العادية، ثم نزل مسرعًا إلى الدور الأول للفيلا، فوجد «نازك» مع والدها ووالده ووالدته يتحدَّثون بحماسة، فلمَّا شاهدوه صاحت «نازك»: «تختخ» ... «تختخ» ... أين كنت؟ لقد كان رجال الشرطة هنا منذ قليل، لقد حدث شيءٌ مثير للغاية.

جلس «تختخ» في هدوء وقال: رجال الشرطة؟! لماذا؟

نازك: لقد حاول أحد اللصوص سرقة الفيلا، ولكني رأيته قبل أن يدخل، فلمَّا رآني أسرع بالهرب.

تختخ: شيءٌ مدهش جدًّا، متى حدث كل هذا؟

نازك: عندما كنت أنتظرك في الحديقة. لقد سمعت صوت خطوات عند الشجرة الكبيرة في طرف الحديقة، ثم سمعت سعالًا عاليًا، وعندما نظرت وجدت لصًّا مخيفًا يقف خلف الشجرة، وعندما رآني أطلق ساقَيه للريح.

تختخ: لقد خاف منك.

نازك: طبعًا؛ فلو بقي في مكانه لقضيت عليه ... أقصد كنت سأصرخ حتى يأتي من يقبض عليه.

تختخ: وكيف عرفتِ أنه لص؟

نازك: لقد كان شكله مرعبًا، وملابسه قديمة وقذرة، وله جرح في وجهه، وشعره خشن.

تختخ: وهل رأيتِ كل هذا وهو بعيد عنك؟

نازك: برغم أنه كان بعيدًا فقد كان واضحًا.

تختخ: وماذا حدث بعد ذلك؟

نازك: لقد طلبت من والدتك الاتصال بالشرطة، فأرسلت لنا الشرطة شاويشًا يُسمَّى «علي» حضر على دراجته، ومن المدهش أنه قابل المتشرِّد في الطريق، ولكنه لم يتمكَّن من القبض عليه.

تختخ: على كل حال، عندك الآن لغزٌ ممتاز، فحاولي أن تحليه.

نازك: هل ستشترك معي؟

تختخ: إذا لم تتمكني من حله، فلا بأس من أن أشترك معك.

وقضى الخمسة السهرة في الحديقة بين الحديث والسمر.

كان اليوم التالي هو بداية المؤتمر العلمي الذي حضر الدكتور «الفار» إلى المعادي لحضوره، وهكذا استيقظوا جميعًا مبكرين، وعلى مائدة الإفطار قال الدكتور «الفار»: في إمكانك يا «توفيق» أن تحضر المؤتمر. إن هناك دعوات لبعض المهتمين ببحوث الحيوان، وسأعطيك أنت و«نازك» دعوةً دائمةً لحضور المؤتمر.

تختخ: ولكن ماذا سنسمع أو نرى هناك؟

الدكتور: ستسمع محاضرات عن القرود والفئران والأرانب، وهي بحوث علمية، ولكن فيها جانب من الطرافة، وهناك معرضٌ ملحق بالمؤتمر، يعرض فيه العلماء عددًا كبيرًا من هذه الحيوانات، وبعضها من نوعٍ نادر لا تراه في الحياة العادية، ولا في حديقة الحيوان.

تردَّد «تختخ» قليلًا، ثم قال: لا بأس، سأحضر أنا و«نازك» بعض جلسات المؤتمر، ولكن ليس اليوم.

نازك: نعم؛ فعندنا لغز الرجل المتشرِّد، ونُريد أن نعرف أين ذهب؟

تختخ: إن ما حدث لا يُسمَّى لغزًا؛ فليس هناك شيءٌ غامض، ولا حتى حادث للتحقيق فيه، إنه مجرَّد متشرِّد دخل إلى الحديقة، ولعله كان يُريد بعض الطعام أو شيئًا من هذا القبيل، ولا أكثر من هذا.

لم يكد «تختخ» ينتهي من حديثه، حتى سمع صوت جرس التليفون يدق، وبعد لحظاتٍ حضرت الشغَّالة وقالت إنه مطلوبٌ للحديث مع المفتش «سامي»، أسرع «تختخ» إلى التليفون وقد أدهشه الاتصال المبكِّر من المفتش، وتأكَّد أن هناك شيئًا هامًّا قد حدث.

قال المفتش: كيف حالك، وحال المغامرين؟ هل هناك شيء يشغلكم الآن؟

تختخ: للأسف، ليس هناك شيء على الإطلاق.

المفتش: إذن فنحن نُريد مساعدتكم في قضية هامة. لقد هرب مجرمٌ خطير منذ يومَين في أثناء نقله من السجن إلى المحكمة لمحاكمته. وقد دلَّت تحرياتنا على أنه قد اتجه إلى المعادي، واختفى هناك.

تختخ: وهل أبلغتم الشاويش «علي»؟

المفتش: طبعًا، وعنده أوصاف المجرم.

تختخ: إنك تعلم طبعًا أنه لا يُحب أن نتدخَّل في عمله، فأرجو أن تُعطيني أوصافه كاملة.

المفتش: سأُرسل لك صورةً له، والمعلومات التي عندنا عنه، وسيصلك هذا في خلال ساعة ... فهل ستبقى في البيت؟

تختخ: سأنتظر.

عاد «تختخ» إلى غرفة الطعام فوجد سيلًا من الأسئلة في انتظاره من «نازك»؛ لقد أدركت أن المكالمة التليفونية تحمل أنباءً هامة، فأخذت تُلح على «تختخ» أن يُخبرها بما قاله المفتش «سامي»، ولكن «تختخ» الذي كان يُريد إبعادها عنه بأية وسيلة، لم يُجب عن أسئلتها الكثيرة إلَّا ببضع كلمات قليلة.

تفرَّق المجتمعون، فذهب الدكتور «الفار» ومعه «نازك» إلى المؤتمر، وخرج «تختخ» إلى الحديقة ينتظر وصول المفتش «سامي»، وكان يرجو أن يقضي ساعةً هادئة، ولكن الشاويش «فرقع» هبط عليه كما تهبط الصاعقة.

قال الشاويش: لقد جئتُ للتحقيق في وجود المتشرِّد الذي كان في الحديقة أمس.

تختخ: إن الحديقة وما فيها تحت أمرك.

الشاويش: كنت أُريد مقابلة الفتاة الصغيرة لأعاود سؤالها عن المتشرِّد ... فأين هي؟

تختخ: لقد ذهبت إلى مؤتمر علماء الحيوان.

الشاويش: ألم ترَ أنت المتشرِّد؟

تختخ: لا، ولكن ما أهمية وجود متشرِّد في حديقة، إن مثل هذا الأمر يتكرَّر يوميًّا، ولا يدعو إلى الاهتمام.

الشاويش: إن عندي من الأسباب ما يدعو إلى البحث عنه؛ إنه مجرمٌ شديد الخطورة.

وتذكَّر «تختخ» كلام المفتش «سامي»، وأدرك أن الشاويش يظن أن المتشرِّد هو المجرم الخطير الذي هرب من السجن.

ابتسم «تختخ» عندما فكَّر في كل هذا، وأثارت ابتسامته غيظ الشاويش، فقال بحدة: لماذا تضحك؟! هل في البحث عن مجرمٍ خطيرٍ ما يبعث على الضحك؟!

تختخ: وهل هناك نص في القانون يمنع الضحك؟

احمرَّ وجه الشاويش، ودار على عقبَيه وغادر الحديقة، وأحسَّ «تختخ» بالسعادة لأن مندوب المفتش «سامي» حضر بعد انصراف الشاويش بدقائقَ قليلة.

سلَّم المندوب إلى «تختخ» مظروفًا مغلقًا، فتحه «تختخ» بلهفة؛ فقد كان هذا يعني أن مغامرةً جديدةً ستبدأ.

أخرج «تختخ» صورة المجرم وأخذ يتأمَّلها. كان شعره خشنًا وعيناه لامعتَين يُطلُّ منهما الذكاء، ذا أنف معتدل، وفمٍ رفيع يدل على القسوة، وبين الأنف والشفة العليا ندبة؛ أي أثر واضح لجرحٍ قديم.

أمَّا المعلومات فكانت هامةً جدًّا؛ كان اسمه «كراوية عبد السميع» وشهرته «الخنفس»، متوسط الطول، شديد القوة، له يدان معروقتان، محكومٌ عليه بجملة أحكام في قضايا مختلفة مدتها ٣٥ عامًا في السجن، ذكي ويُتقن التنكُّر، عمره ٤٠ سنة، وليست له أسرة، ولكن له ابن عم وبنت عم يعملان في ألعاب الحواة في مدينة الملاهي، وهو يعمل معهما أحيانًا في المدينة، حيث يُدرِّب الفئران البيضاء على أداء حركات معيَّنة، كما يُتقن تدريب الحيوانات من القرود والكلاب والفئران وغيرها.

قام «تختخ» فاتصل بالأصدقاء تليفونيًّا، وبعد دقائقَ حضروا جميعًا، وأخذ «تختخ» يروي لهم تفاصيل الحديث بينه وبين المفتش «سامي»، ثم عرض عليهم صورة «الخنفس»، وقرأ المعلومات التي وصلته عنه، ثم قال: والآن أيها المغامرون لا بد أن نعثر على «الخنفس» قبل أن يصل إليه الشاويش، وفي نفس الوقت لا نُريد أن تعرف «نازك» بما نفعل؛ فهي ثرثارة وقد تُؤدِّي ثرثرتها إلى تحذير المجرم إذا كان قريبًا منَّا.

لوزة: ومن أين سنبدأ البحث يا «تختخ»؟

تختخ: إن في المعادي الآن تجمُّعات يمكن أن يندسَّ فيها المجرم؛ هي مدينة الملاهي وفيها بعض ألعاب «السيرك» المتنقِّل، واجتماع علماء الحيوان.

مُحب: وهل تتصوَّر أن يندسَّ هذا المجرم بين العلماء والأطبَّاء؟

تختخ: أتصوَّر أنه من المحتمل أن يكون بين العلماء وليس بين الحواة؛ لأنه بين العلماء والأطبَّاء سوف يختلط بوسطٍ مقتدر، يستطيع أن يجد فيه مجالًا واسعًا لسرقاته.

عاطف: إن ذلك فرصةً لسؤال الدكتور «الفار» عن العلماء، وكذلك لحضور المؤتمر، وعلينا نحن أن نبحث في مدينة الملاهي؛ فقد نجد شيئًا يدلنا عليه هناك.

تختخ: هذا اقتراحٌ معقول جدًّا.

وهكذا بقي «تختخ» في البيت في انتظار عودة الدكتور «الفار»، في حين انطلق بقية الأصدقاء في الطريق إلى حديقة الملاهي.

عندما عاد الدكتور «الفار» و«نازك» من المؤتمر قرب الساعة الثانية، استقبلهما «تختخ» استقبالًا حافلًا أدهش الدكتور، خاصةً وقد أصبح «تختخ» الذي لم يكن مهتمًّا بالمؤتمر على الإطلاق، شديد الاهتمام به.

قال «تختخ» ليستدرج الدكتور إلى الحديث: هل قدَّمت بحثك إلى المؤتمر؟

الدكتور: إن موعد إلقائي للبحث سيكون غدًا.

تختخ: إذن سوف أذهب غدًا إلى المؤتمر معك؛ لسماع هذا البحث الهام.

نازك: وستُشاهد مجموعةً غريبةً من البشر؛ فهناك علماء من كل نوع وجنس، كما أن معرض الحيوانات الملحق بالمؤتمر مسلٍّ جدًّا.

سأل «تختخ» الدكتور: هل تعرف كل العلماء المشتركين في المؤتمر؟

الدكتور: لا طبعًا؛ فهناك ثلاثون عالمًا وطبيبًا، عدا المساعدين، ولست أعرف منهم إلَّا نحو عشرة فقط.

تختخ: ألم يلفت نظرك من بينهم شخص ما؟

الدكتور: لا أدري ماذا تقصد؟

وأدرك «تختخ» أنه أخطأ في السؤال فقال: أقصد أن يكون بينهم عالمٌ بارز أو مشهور.

هزَّ الدكتور رأسه قائلًا: إن أكثرهم من العلماء البارزين؛ فإن المؤتمرات العلمية لا تهم إلَّا العلماء ذوي الأهمية، والذين لهم أبحاثٌ متقدِّمة في ميدانهم.

تختخ: وهل أستطيع أن أحصل على قائمةٍ بأسمائهم وصورهم؟

الدكتور: غدًا تستطيع أن تحصل من سكرتارية المؤتمر على الأسماء والمعلومات اللازمة، أمَّا الصور فهذا غير ممكن طبعًا.

لم تكن هناك أسئلة أخرى يمكن أن يسألها «تختخ»، فأخذ يُدير المعلومات التي حصل عليها في رأسه، ولكنه لم يجد فيها شيئًا يُساعده، في حين كان «مُحب» و«نوسة»، و«عاطف» و«لوزة»، يتجوَّلون.

كانت مدينة الملاهي تشغل قطعةً كبيرةً من الأرض في طرفَي المعادي، يُحيط بها سورٌ تنتشر بداخله الخيام والعربات التي يُقيم بها العاملون ب «السيرك». وعند المدخل الرئيسي

يوجد كشك صغير لبيع التذاكر. تتوسَّط المدينةَ خيمةٌ كبيرة خاصة بـ «السيرك» المتنقِّل، بما فيه من حيوانات وموظَّفين ومدرِّبين ولاعبين، أمَّا «المراجيح» وألعاب التسلية المختلفة من ألعاب الحواة والزهر و«النشان» بالبندقية، فقد كانت تنتشر في أرجاء المكان، وكذلك باعة الحلوى والمثلجات.

كان الزحام شديدًا والحركة التي تسود المكان سريعة، حتى إن الأصدقاء أحسُّوا وكأن الدنيا تدور بهم، وقرَّروا أن يُقسِّموا المكان المتسع إلى أربعة أجزاء، كلٌّ منهم يبحث في جزء، على أن يلتقوا بعد ساعةٍ عند «المراجيح» الدوَّارة.

كانت مهمة «مُحب» هي البحث بين العاملين في ألعاب «النشان» بالبنادق، وهي لعبة كان يُحبها، وهكذا وقف من بعيدٍ يرقبهم؛ لعله يجد من يشبه «الخنفس».

ولم يطل الوقت بـ «مُحب»؛ فقد شاهد رجلًا متوسِّط القامة، سريع الحركة، يقوم بتعبئة البنادق وتسليمها للمتسابقين وتسليم جوائز الفائزين، وهكذا أسرع «مُحب» يقترب ويدفع قرشًا ليضرب بالبندقية، ولكن نظره كان مركزًا على الرجل يتأمَّله، لم يكن يشبه الصورة تمامًا، ولكن كان ثمة شبَه بينه وبينها؛ الشعر الخشن والعينان النفَّاذتان، ولكن نظرةً دقيقةً إلى الوجه دلَّته على أنه مخطئ؛ فلم تكن هناك «الندبة» التي فوق الفم، وهي أكثر شيء عند «الخنفس» يمكن أن يكون دليلًا عليه.

ظل «مُحب» ينتظر فترةً أخرى، ولكن لم ينضمَّ إلى الذين يعملون في «النشان» شخص جديد، وهكذا انصرف، وأخذ يسير متفرِّجًا على بقية الألعاب، وصورة «الخنفس» في رأسه على أمل أن يجده، ولكن الساعة مضت دون أن يرى أحدًا، فانطلق إلى ناحية «المراجيح» الدوَّارة ليلحق ببقية الأصدقاء.

وعندما اجتمع الأربعة، كانت خيبة الأمل تُطل من عيونهم جميعًا؛ فلم يعثر أحدٌ منهم على «الخنفس».

قال «مُحب» وهم متجهون للخروج: عل كل حال لم يكن من المتوقَّع أن نجد هذا المجرم البارع في أول يوم، ومن المؤكَّد أن لصًّا ذكيًّا مثله لا بد أن يُخفي نفسه جيدًا، ولن نعثر عليه إلَّا بعد جهد، هذا إذا عثرنا عليه على الإطلاق!

عاد الأصدقاء لمقابلة «تختخ» وقالوا آسفين إنهم لم يعثروا لـ «الخنفس» على أثرٍ في مدينة الملاهي، ولكن «تختخ» لم يكن يستسلم بهذه السرعة، فسألهم: ألم ترَوا أي شخص يُشبهه؟

وتذكَّر «مُحب» الرجل الذي رآه عند «النشان» فقال: الحقيقة أنني رأيت رجلًا يُشبهه إلى حدٍّ بعيد، ولكن تنقصه «الندبة» التي تحت الأنف، والتي قلنا إنها تُشبه أثر جرح قديم.

تشجَّعت «لوزة» عندما سمعت هذا الحديث فقالت: لقد رأيت شخصًا يُشبه «الخنفس»، ولكنه ليس رجلًا، إنه امرأة!

لم تكد «لوزة» تنطق بهذه الجملة، حتى انفجر الأصدقاء ضاحكين، وقال «عاطف» مازحًا: هل تخيلتِ أن «الخنفس» تحوَّل إلى امرأة؟

كان «تختخ» هو الوحيد الذي لم يضحك، بل قال في جدٍّ خالص: وأين كانت هذه المرأة؟

ردَّت «لوزة» وقد اصطبغ وجهها بحمرة الخجل: إنها تعمل في لعبة الفئران البيضاء، والفأر يختار لك ورقةً مكتوب فيها «البخت» مقابل قرش.

قال «تختخ» باهتمام: لقد عثرتم على معلوماتٍ هامة، ويُؤسفني أنكم لم تستفيدوا منها. إنكم تذكرون أن لـ «الخنفس» ابن عم وابنة عم يعملان في «السيرك» المتجوِّل، وأن «الخنفس» يُجيد تدريب الفئران، ولعل الرجل الذي شاهده «مُحب» هو ابن عمه، والفتاة التي شاهدتها «لوزة» هي ابنة عمه، وعن طريقهما يمكن أن نصل إلى «الخنفس»، وهذا شيء واضح كان يجب أن تعرفوه.

سكت الأصدقاء جميعًا أمام هذه الملاحظة الصحيحة، وأحسُّوا أنهم أخطئوا عندما اعتبروا المعلومات التي حصلوا عليها ليست ذات أهمية.

عاد «تختخ» إلى الحديث قائلًا: أرجو أن يذهب «مُحب» و«عاطف» غدًا إلى مدينة الملاهي، وعليهما أن يُراقبا الرجل وأخته مراقبةً دقيقة، وكذلك الأشخاص الذين يتصلون بهما، أمَّا أنا فسوف أذهب غدًا إلى المؤتمر كما وعدتُ الدكتور «الفار»، وإن كنتُ أعتقد أنني لن أجد هناك شيئًا له أهمية.

وهكذا انفضَّ اجتماع الأصدقاء، على أن يلتقوا في مساء اليوم التالي بعد أن يقوم «مُحب» و«عاطف» بالمراقبة، ويزور «تختخ» المؤتمر.

السيدة العجوز والبهلوان

استيقظ «تختخ» مبكِّرًا في صباح اليوم التالي، وبعد الإفطار اصطحب الدكتور «الفار» و«نازك» إلى المؤتمر، وكما قرَّر «تختخ» ذهب إلى سكرتارية المؤتمر حيث حصل على كشفٍ بأسماء العلماء المشتركين في المؤتمر، وعندما دخل إلى القاعة الفسيحة التي تُلقى فيها المحاضرات، أخذ يُراقب كل شيء حوله، ويتفحَّص وجوه الأساتذة والمستمعين.

كانت محاضرة الدكتور «الفار» تدور حول نوع الفأر المنزلي المسمَّى «أتي أتي»، والفرق بينه وبين النوع المسمَّى «أتي نور فيجكسي»، وأحسَّ «تختخ» بصداعٍ شديد، وبرغبةٍ شديدة في النوم، بعد أن طالت المحاضرة وامتلأت بالاصطلاحات العلمية الجافة، فلم تكد المحاضرة تنتهي ويقف محاضرٌ آخر، حتى غادر قاعة المحاضرات، وتبعته «نازك».

قرَّر «تختخ» زيارة معرض الحيوانات الصغير الملحق بالمؤتمر، حتى تنتهي المحاضرات ويعود مع الدكتور إلى المنزل. كان المعرض يضم أنواعًا متعدِّدة من الفئران والأرانب الحية والمحنَّطة، وتذكَّر «تختخ» «الخنفس» عندما شاهد الفئران البيضاء التي كانت تدور وتلف في أقفاصها الصغيرة، وكم كانت دهشة «تختخ» عندما وجد أن حارسة الأقفاص سيدة عجوز، تلبس الطرحة السوداء، وقد امتلأ وجهها بالتجاعيد، فلم يكن يتصوَّر أن بين موظفي الدولة سيدة مثل هذه!

اقترب «تختخ» من أقفاص الفئران البيضاء وأخذ يُراقبها باهتمام، فقالت «نازك»: لقد وقع حادث في يوم الافتتاح نسيت أن أرويه لك؛ فقد انكسر قفص الفئران البيضاء لعدم وجود المختص برعايتها، وهربت الفئران، واضطُرَّت إدارة المؤتمر إلى استئجار قفص من هذه السيدة العجوز، ثم استأجرتها هي شخصيًّا لرعاية الفئران؛ لأن الموظَّف اعتذر عن المجيء بسبب مرضه.

قال «تختخ»: هذا يُفسِّر وجود هذه السيدة في المؤتمر، فليس من المعقول أن يكون بين موظفي الدولة سيدة تلبس الطرحة.

سمعت السيدة العجوز ملاحظة «تختخ» فقالت: إنني سيدةٌ محترمة، والملابس ليست فارقًا بين الناس، وليس عيبًا أن ألبس الطرحة وأجلس هنا في المؤتمر.

أحسَّ «تختخ» بالحرج فقال: آسف جدًّا فإنني لم أقصد إهانتك. لقد لفت نظري وجودك هنا.

شكر «تختخ» السيدة، ثم غادر المكان مع «نازك»، وجلسا في الاستراحة حتى انتهى الدكتور «الفار» من أعماله، وانصرف الجميع عائدين إلى المنزل.

عندما عاد الجميع إلى البيت، صعد «تختخ» إلى غرفته وأخذ يُعيد قراءة أسماء أعضاء المؤتمر، وهو يُفكِّر هل يمكن أن يكون «الخنفس» على قدرٍ من الذكاء والثقافة، بحيث يندس بين أعضاء المؤتمر؟ صحيحٌ أنها فرصةٌ طيبة للاختفاء عن أعين رجال الشرطة، ولكنها تحتاج إلى قدرٍ كبير من الجرأة والمعرفة.

أدرك «تختخ» أن «الخنفس» لا يمكن أن يندسَّ في المؤتمر، وأن المكان الطبيعي له هو مدينة الملاهي حيث الزحام، وحيث يعمل أشخاص مثله من الحواة ومدربي الكلاب والقرود، وعمَّال «المراجيح». واستقرَّ رأيه بعد أن يُقابل أصدقاءه هذا المساء، أن يذهب بنفسه غدًا إلى مدينة الملاهي، لعله يجد شيئًا جديدًا.

التقى الأصدقاء بـ «تختخ» في حديقة منزل «عاطف» في المساء، بعد أن استطاع «تختخ» التسلُّل من منزله دون أن تراه «نازك»، التي كانت تتبعه كظله طول النهار، وهي لا تكف عن أسئلتها المتعبة.

سأل «مُحب»: هل عثرت على شيءٍ في المؤتمر؟

تختخ بأسف: أبدًا، فليس بين من قابلت في المؤتمر من يمكن أن يكون «الخنفس»، كما أنني أستبعد أن يكون مثل هذا اللص قادرًا على أن يندس بين أعضاء المؤتمر، وكلهم من المشاهير المعروفين، ولم أُقابل شيئًا يلفت النظر إلَّا عجوزًا تقوم بالعناية بالفئران البيضاء؛ لغياب الموظَّف المختص بها ... وهذا كل ما هنالك.

لوزة: للأسف أن مراقبتنا للرجل المسئول عن لعبة «النشان» وأخته لم تُسفر عن شيءٍ هام. لقد عرفنا أن اسمه «حسبو» وأخته اسمها «لعبة»، ولم يتردَّد عليهم أحد يمكن الاشتباه فيه ... إلَّا ...

قال «تختخ»: إلَّا من؟

لوزة: إلَّا المهرج.

قال «تختخ» باهتمام: المهرج؟! إن هذا شخصٌ يُثير الاهتمام حقًّا.

عاطف: إنه الوحيد الذي شاهدناه يتردَّد على «حسبو» وأخته أكثر من مرة.

سأل «تختخ»: وما هو شكله؟

نوسة: ككل المهرجين، يلبس الملابس الملوَّنة، ويُغطِّي وجهه بالأصباغ الفاقعة، ويلبس طرطورًا، له ذيلٌ طويل يتأرجح خلفه.

تختخ: إنني لا أقصد هذا، أقصد طوله ... عرضه، شكله العام، هل يمكن أن نشتبه فيه؟

مُحب: إنه متوسِّط القامة، سريع الحركة، ولكن الأصباغ التي يُلوِّن بها وجهه لا تكشف عن طبيعة لونه، وبالطبع تُخفي أي «ندبة» تكون فيه، كما أنه يلبس قفَّازًا أبيض، فلا نستطيع أن نعرف إذا كانت يداه معروقتَين أم لا!

لوزة: آسفة لقطع حديثكما، ولكن ما معنى معروقة؟ لقد خجلت أن أسأل في البداية، ولكن هذا دليلٌ هام!

تختخ: أيتها المغامرة الصغيرة، كيف تخجلين من السؤال عن شيءٍ هام كهذا؟ معروقتان يعني تبرز فيهما العروق، وهذه صفة من صفات الأشخاص النحفاء والكهول.

سكت «تختخ» قليلًا، ثم عاد يقول: إن المهرِّج هو أول شخص يمكن الاشتباه فيه؛ فملابسه وتنكُّره يمكن أن يختفي خلفهما أي شخص، خاصةً «الخنفس»، وغدًا سوف نذهب معًا، ونُراقب هذا المهرِّج مراقبةً دقيقة.

الدكتور في «المرجيحة»

كان اليوم التالي يوم إجازة في المؤتمر، وكم كانت مفاجأةً لـ «تختخ» أن يوافق الدكتور «الفار» على أن يذهب معه إلى مدينة الملاهي، وقد شجَّع والد «تختخ» الدكتور على الذهاب قائلًا: إنك محتاجٌ إلى راحةٍ ذهنية من أعمال المؤتمر، وخيرٌ لك أن تذهب مع هؤلاء الأولاد فتقضي يومًا مرحًا، وأنصحك أن تركب «المرجيحة».

وضحك الجميع على هذا الاقتراح، ولكن الدكتور «الفار» لم يتردَّد عندما وصلوا إلى مدينة الملاهي أن يركب «المرجيحة». وكان منظرًا مثيرًا حقًّا للأصدقاء ولـ «نازك» أيضًا أن يروا العالم الكبير المحترم يركب «المرجيحة» الدوَّارة معهم، ويضحك وهو يمسك بالحصان الخشبي كطفلٍ صغير!

أمَّا «تختخ» فقد اعتذر عن الركوب معهم، وانطلق إلى المهمة التي حضر من أجلها؛ فقد جاء خصوصًا ليُراقب المهرِّج.

كان المهرِّج يقف أمام خيمةٍ صغيرة تُعرَض بها بعض الألعاب، وهو يجتذب الناس بكلماته الضاحكة، وبحركاته المضحكة، كان ينادي قائلًا: تعالَوا ... تعالَوا ... اتفرجوا ... اتمتعوا ... الساحر العجيب ... الفتاة التي تنشر جزءَين ... البيضة التي تخرج منها الحمامة في دقيقة ... تعالَوا ... تعالَوا.

اقترب «تختخ» من الرجل، وأخذ يتأمَّله ويفحصه، كان يُشبه «الخنفس» ... إلى حدٍّ كبير؛ نفس الطول، وملامح الوجه. وتحت الدهان الثقيل الذي كان يُغطِّي وجهه، استطاع «تختخ» أن يلمح «ندبةً» فوق شفتَيه، ولكن هذه الندبة كانت طويلةً ترتفع حتى تحت العين. وفكَّر «تختخ»، ثم قال في نفسه: إنه على كل حال يمكن أن يطليها بطريقةٍ ما حتى يُخفي شخصيته، المهم الآن أن أرى هذا الوجه بلا أصباغ، وهذه الرأس بلا طرطور ... وهذه الأيدي بلا قفَّاز ... لا بد أن أراه على طبيعته بدون ثياب المهرِّج.

عندما اطمأن المهرِّج إلى دخول الناس إلى الخيمة، أسرع يقفز من فوق المنصة التي كان يقف عليها، ثم اتجه مسرعًا إلى حيث لعبة «النشان». أسرع «تختخ» خلفه، ولكن البهلوان لم يذهب إلى لعبة «النشان» نفسها؛ فبجوارها كانت الفتاة التي تجلس بجانب قفص الفئران البيضاء. إنها نفس الفتاة، «لعبة» التي تحدَّث عنها الأصدقاء، والتي تُشبه «الخنفس»، وكم كانت دهشة «تختخ» عندما لم يجد الفتاة وحدها! لقد كانت بجوارها السيدة العجوز التي رآها في المؤتمر!

كانتا تجلسان معًا، تناديان الزبائن ليروا «بختهم» قائلتَين: بقرشٍ واحد يسحب لك الفأر الأبيض ورقةً تقرأ فيها «بختك». وشاهد «تختخ» البهلوان وهو يتجه إلى السيدة العجوز، ويُسلِّم عليها باحترام، ثم يقف بجوار الفتاة «لعبة» ويتحدَّث إليها. سأل «تختخ» نفسه: ما هي العلاقة بين هؤلاء الثلاثة «البهلوان ... ولعبة ... والسيدة العجوز؟» وكان الرد المنطقي أن العجوز هي أم «لعبة»، وأن «البهلوان» هو زوج «لعبة» أو خطيبها، ولكن المهم التأكُّد من هذه المعلومات، فكيف السبيل إلى هذا؟ وكيف السبيل إلى رؤية البهلوان بلا ملابس، ولا أصباغ؟! دارت في رأس «تختخ» مجموعةٌ من الأفكار، ثم استقرَّ على فكرةٍ معيَّنة، وهكذا غادر مكانه مسرعًا ليلحق بالأصدقاء عند «المراجيح» ... وكانت في انتظاره مفاجأة؛ لقد داخ الدكتور «الفار» من «المرجيحة»، وغادر المكان منذ قليل وحده، وبقي الأصدقاء ليكملوا بقية الصباح في مدينة الملاهي. فكَّر «تختخ» أن الدكتور وهو لم يزُر المعادي من قبل، وهو دائخٌ أيضًا، قد يضل طريقه إلى المنزل، فاستأذن من الأصدقاء بعد أن طلب منهم مراقبة البهلوان، وانطلق مسرعًا في إثر الدكتور.

كانت المفاجأة الثانية لـ «تختخ» أن يرى الشاويش بثيابٍ عادية وليس بالثوب الرسمي، يسير أمامه خارجًا من مدينة الملاهي، وكأنه يتبع شخصًا؛ فقد كان ينظر إلى الأمام في اهتمام، ويسير بخطواتٍ واسعة.

واتجه بصر «تختخ» إلى حيث ينظر الشاويش، وكم كانت دهشته أن رأى الدكتور «الفار» وهو يُسرع الخطو!

هل كان الشاويش يتبع الدكتور؟! ولماذا؟! قرَّر «تختخ» أن يتبعهما عن قربٍ لعله يجد إجابةً عن السؤالَين. وبعد فترةٍ من الوقت تأكَّد «تختخ» أن الشاويش يتبع الدكتور فعلًا؛ فقد كان يمشي خلفه وقد ثبَّت عينَيه عليه، ولكن لماذا؟ خطرت لـ «تختخ» فكرةً غريبة: هل يشك الشاويش في الدكتور؟ هل يظن أنه «الخنفس»؟ ... هنا تذكَّر «تختخ» شيئًا غاب عن باله طول الوقت؛ لقد كان الدكتور يُشبه «الخنفس» إلى حدٍّ بعيد؛ نفس

الطول، نفس الشعر الخشن، نفس الملامح تقريبًا، عدا النظارة السوداء التي يمكن أن تكون أداةً جيدةً للتنكُّر! وكذلك «الندبة» التي يُجيد إخفاءها!

هزَّ «تختخ» رأسه غير مصدِّق، هل يمكن أن يكون الدكتور «الفار» هو «الخنفس»؟! غير معقول! غير ممكن!

وفي نفس الوقت كان الدكتور «الفار» قد أحسَّ بالشاويش يتبعه، وكان ما زال يشعر بالدوخة من أثر «المرجيحة»، فهو يسير بخطواتٍ متعثِّرة، وقد اختلطت عليه الأمور فلم يعد يدرك إن كان يسير في الطريق الصحيح أم لا.

أمَّا الشاويش فقد كانت شكوكه تتزايد مع كل خطوة؛ فهذا الرجل غريبٌ عن المعادي، وشكله يُشبه «الخنفس»، وهو يسير بخطواتٍ مضطربة وينظر حوله في كل اتجاه وكأنه يُخبِّئ شيئًا. وهكذا قرَّر الشاويش أن يلحق بالدكتور فورًا؛ فقد يكون هو «الخنفس» فعلًا، ويختفي من أمامه فجأةً وتُصبح كارثة.

بدأ الشاويش يُسرع في المشي خلف الدكتور، الذي أحسَّ بسرعة الشاويش فبدأ يُسرع هو أيضًا … وهو يُفكِّر في هذا الرجل الذي يتبعه: أهو أحد اللصوص أم ماذا؟ ولماذا يُسرع الخطو خلفه؟!

ضاعف «تختخ» من سرعته هو الآخر حتى يلحق بالرجلَين، وهو يبتسم للمطاردة الغريبة، وبعد دقائقَ استطاع الشاويش أن يلحق بالدكتور «الفار»، الذي فزع جدًّا وهو يُحس بيد الشاويش الثقيلة وهي تهبط على كتفه، وصوت الشاويش وهو يقول: انتظر هنا!

استدار الدكتور ليُواجه الشاويش، وقد ارتسمت على وجهه علامات الدهشة والفزع، فقال الشاويش: من أنت؟ ولماذا تمشي مسرعًا بهذه الطريقة، كأنما تهرب من شيءٍ ولماذا تتلفَّت حولك؟ هل هناك ما تخشاه؟ قال الدكتور بصوتٍ مضطرب: أهرب؟! لماذا؟! إنني عائدٌ إلى المنزل، وليس هناك شيءٌ آخر.

الشاويش: هل أنت من سكَّان المعادي؟

الدكتور: لا، إنني من الإسكندرية.

الشاويش: ما اسمك، وصناعتك؟

الدكتور: اسمي «الفار»، وأنا دكتور.

رنَّت كلمة «الفار» في رأس الشاويش؛ فـ «الخنفس» مشهورٌ بتدريب الفئران، ولا بد أن هذا الرجل الغريب هو «الخنفس» أو قريبٌ له.

وقبل أن يستمرَّ الشاويش في شكوكه وأسئلته، تدخَّل «تختخ» قائلًا: معذرةً يا حضرة الشاويش، هل ارتكب الدكتور مخالفة؟

صاح الشاويش بضيق: وما دخلك أنت؟ ومن أين عرفت أنه دكتور؟ فرقع من هنا ولا تُعطِّلني، فإنني أقوم بمهمةٍ خطيرة.

قال «تختخ» بهدوءٍ ولكن كلماته كانت كالقنابل في وجه الشاويش: أحب أن أؤكد لك يا حضرة الشاويش أن الدكتور «الفار» ليس هو «الخنفس» الذي تُطارده، وكونه اسمه «الفار» ليس دليلًا على أنه على صلةٍ بالمجرم الهارب، فلا تُضيِّع وقتك ووقت الدكتور.

ثم وضع ذراعه في ذراع الدكتور وسار، والدكتور لا يُصدِّق أنه نجا من هذه المطاردة.

أمَّا الشاويش فقد أذهلته المفاجأة: من أين عرف هذا الولد أن هناك مجرمًا اسمه «الخنفس»؟ وكيف عرف أنه يشك في هذا الشخص أنه المجرم؟ ومن أين أتى؟

عشرات الأسئلة دارت في رأس الشاويش، فأحسَّ أن الدنيا تدور به لحظات، ثم تمالك نفسه وقال: لعل هذا الولد يُريد أن يضحك عليَّ، ويقبض هو على «الخنفس»، وانطلق مسرعًا للحاق بهما.

عندما اقترب الشاويش من «تختخ» والدكتور، كانا قد اقتربا من منزل «تختخ» وسمعهما يضحكان، وهما يجتازان باب الحديقة، ويستقبلهما والد «تختخ» بابتسامة، وهو يُحيِّي الدكتور باحترام!

حقيقة البهلوان

كانت الفكرة التي استقرَّ عليها رأي «تختخ» أن يتنكَّر في ثياب ولدٍ ممن يعملون في مدينة الملاهي، وأن يذهب إلى هنالك للبحث عن عمل؛ لعله يستطيع أن يكون بجوار البهلوان، يراه عن قرب، وقد يُساعده الحظ فيراه بدون ثياب التنكُّر وبلا أصباغ.

وفي المساء اعتذر بأنه مُتعب، ثم صعد إلى غرفته، حيث قضى بعض الوقت في ارتداء ثياب التنكُّر، وتغيير شكل وجهه ببعض الأصباغ الخفيفة، ووضع على رأسه طاقيةً زرقاء لها ذيل، وعندما هبط الظلام تسلَّل خارجًا من غرفته إلى السلم الخلفي إلى الحديقة، وفتح بابها وسرعان ما ابتلعه الظلام.

سار «تختخ» مسرعًا في طريقه إلى مدينة الملاهي، وبعد نصف ساعة بدأت أنوار المدينة تلمع في الظلام، وأحسَّ بأنه مُقبِلٌ في هذه الليلة على مغامرةٍ لا يعرف نهايتها، ولكنه لم يتردَّد، وسرعان ما اندمج في جمهور الداخلين إلى المدينة الساهرة.

اتجه «تختخ» رأسًا إلى لعبة «النشان»، فوجد «حسبو» في مكانه، وبالقرب منه تجلس السيدة العجوز وبجوارها «لعبة»، وهما تُناديان على الفئران البيضاء «والبخت»، ففكَّر لحظات، ثم تقدَّم من السيدة العجوز وقال: ألا تُريدين مساعدًا للعمل معكم؟

ردَّت السيدة في ضيق: امشِ من هنا، إننا لا نجد ما نأكله، فمن أين لنا أن نعطيك أجرة؟!

أحسَّ «تختخ» بخيبة أمل شديدة، ولكنه لم يتراجع، بل ظل واقفًا بجوار السيدة ينتظر فرصةً أخرى للحديث، وقد جاءت الفرصة بأسرع ممَّا كان يتوقَّع؛ فقد حضر المهرِّج في ملابسه الزاهية، ووقف يتحدَّث مع «لعبة» حديثًا هامسًا، فحاول «تختخ» الاستماع إلى الحديث؛ لعله يستفيد منه. ولفت ذلك نظر السيدة العجوز التي صاحت في وجهه: قلت لك امشِ من هنا، وإلَّا كسرت عظامك.

التفت المهرِّج ناحية «تختخ» قائلًا: ماذا حدث؟ لماذا أنت ثائرة؟ تدخَّل «تختخ» قبل أن ترد السيدة وقال: إنني أُريد عملًا معكم؛ فإنني عاطلٌ عن العمل منذ مدة، ولا أجد ما آكله.

قال المهرِّج بابتهاج: ابن حلال، قد هرب الولد الذي يضرب على الطبلة اليوم، وأنا في حاجةٍ إلى ولدٍ آخر، هل تعرف كيف تضرب على الطبلة؟ لم يتردَّد «تختخ» وقال: نعم، أعرف.

المهرِّج: تعالَ معي.

وأمسك بيد «تختخ» وجرَّه مسرعًا إلى الخيمة الصغيرة، ثم علَّق الطبلة في رقبته قائلًا: عليك أن تتابع صوت النفير دقة، ثم دقتَين ... ثم دقة ... هذا هو كل المطلوب منك.

أراد «تختخ» أن يُثبت أنه جاد فيما يفعل، فقال: وكم سآخذ في اليوم؟ ردَّ المهرِّج ضاحكًا: خذ ما يكفي لأكلك وشربك، عشرة قروش مثلًا. وافق «تختخ» على الأجرة، وسرعان ما اندمج في عمله بحماس، وهو يُفكِّر في الساعات القادمة.

مضت الساعات و«تختخ» يُحس بالتعب أكثر؛ فقد كانت الطبلة ثقيلةً على رقبته، أمَّا العمل فهو مستمرٌّ بصفةٍ دائمة، وكان الولد الذي يضرب النفير في مثل سنه تقريبًا، ودون أن يتكلما أحسَّا أنهما صديقان.

انتهى العمل قرب منتصف الليل، وأحسَّ «تختخ» براحةٍ كبيرة وهو يرفع الطبلة من رقبته ويضعها على الأرض، ويجلس بجوار عازف النفير على الكنبة الخشبية أمام خيمة «السيرك»، وهو يُشاهد الناس ينصرفون إلى منازلهم بعد العرض. تعارفا بسرعة، فقدَّم «تختخ» نفسه إلى الولد على أن اسمه «شطارة»، وكان الولد اسمه «حكشة».

قال «حكشة»: إنني جائعٌ جدًّا، هل معك أي نقود نشتري شيئًا نأكله.

أعطى «تختخ» لـ «حكشة» خمسة قروش، فأسرع ليشتري لنفسه ساندويتشًا أخذ يأكله بنهمٍ شديد، وبينما «تختخ» يُراقبه حتى إذا انتهى، سأله «تختخ»: هل تعمل هنا من مدةٍ طويلة؟

حكشة: لا، من أول ما نصبوا «السيرك» هنا في المعادي، وقبل هذا كنت أعمل في الإسكندرية.

تختخ: وما رأيك في هؤلاء الناس؟

حكشة: إن المهرِّج رجلٌ طيب، ولكن السيدة العجوز قاسية جدًّا، وإنها كثيرًا ما تضربني عند أي خطأ.

تختخ: وهل هي قريبة للمهرِّج؟

حكشة: إنها أم «لعبة» و«حسبو»، والمهرِّج خطيبٌ لـ «لعبة»، وسوف يتزوَّجان بعد انتهاء العمل في المعادي.

قال «تختخ» في نفسه: إذن فقد تكون هناك صلة قرابة بين «الخنفس» وهذه السيدة العجوز، وغالبًا فإن أحد الثلاثة أو هم معًا، يعرفون مكان «الخنفس»، ولا بد من الاستمرار في العمل معهم لمعرفة مكان المجرم الهارب. المهم الليلةَ أن أرى المهرِّج بلا ملابس تنكُّرية وبلا أصباغ؛ لعله يكون «الخنفس».

خشي «تختخ» أن ينصرف المهرِّج دون أن يراه، فقال لـ «حكشة»: إنني أُريد دخول الخيمة التي ينام فيها المهرِّج فهل هذا ممكن؟

حكشة: إنهم لا يُحبُّون أن يدخل عليهم أحد، وعلى كلٍّ سوف يخرجون الآن لتناول الطعام، وتستطيع أن تطلب أجرك من المهرِّج.

مضت نصف ساعة، ثم خرجت «لعبة» في ملابسَ عادية، وتبعها «حسبو»، وثبَّت «تختخ» عينه على باب الخيمة في انتظار ظهور المهرج، ولم ينقضِ وقتٌ طويل حتى شاهده يخرج بلا ملابس تنكُّرية وبلا أصباغ، كانت مفاجأةً محزنة، شعر «تختخ» بعدها بخيبة أمل شديدة، فلم يكن هناك أي علاقة بين شكل المهرِّج الحقيقي وبين «الخنفس»، بل لم يكن بينهما أي شبه … وهكذا ضاع الأمل الذي علَّقه «تختخ» على المهرِّج، فكان عليه أن يُفكِّر في شيءٍ آخر.

كان هناك احتمالٌ كبير في أن يكون «حسبو» و«لعبة» هما ابنا عم «الخنفس»، ولم تكن هناك وسيلة للتأكُّد سوى متابعتهما لحين الوصول إلى مكان «الخنفس»، فسأل «حكشة»: أين ينام هؤلاء؟

حكشة: إن «حسبو» و«لعبة» وأمهما العجوز ينامون في إحدى العربات الملحقة بـ «السيرك»، والمهرِّج ينام وحده في خيمةٍ أخرى.

تختخ: وأين تنام أنت؟

حكشة: أنام على هذه الدكة الخشبية التي نجلس عليها.

خلا المكان من الناس بعد قليل، وأخذ «حكشة» يتثاءب، وبعد لحظاتٍ استغرق في النوم، وجلس «تختخ» وحيدًا يتأمَّل ما حوله، كانت هذه أول مرة يرى فيها مدينة الملاهي خالية، وليس هناك سوى الأخشاب والخيم والأوراق الملوَّنة، وأصوات الحيوانات في أقفاصها، واستُغرق «تختخ» في التفكير: ماذا يفعل الآن؟ هل يعود إلى منزله دون

أن يستكمل مغامرته؟ لقد عرف شخصية المهرِّج، ولم يعد موضع اشتباه … فمن هو الشخص الذي يمكن أن يشتبه فيه؟ وهل «الخنفس» موجود فعلًا في مدينة الملاهي؟ وإذا كان موجودًا، فأين هو بين عشرات العاملين في المكان؟

أخيرًا قرَّر «تختخ» أن يتجسَّس على «حسبو» و«لعبة» والسيدة العجوز؛ ولعله يسمع من حديثهم ما يدله على مكان «الخنفس». وهكذا ألقى نظرةً على «حكشة»، فوجده مستغرقًا في نومٍ عميق، فقام بهدوء، وأخذ يتجوَّل بين العربات الخشبية حيث نام العاملون، في المدينة المتنقلة دون أن يعرف أين عربة «حسبو».

لم يستمرَّ بحثُ «تختخ» طويلًا؛ فقد قابل سيدةً تجلس أمام إحدى العربات، ومعها طفلها الصغير الذي بكى، فسألها عن عربة «حسبو» فأشارت إليها.

كانت العربة كبقية العربات مصنوعةً من الخشب، ولكن عجلاتها كانت مكسوةً بالخشب من الخارج، فبدت وكأنها منزل من طابقَين. وكان الضوء يخرج من الفتحات التي بين الألواح الخشبية، فعرف «تختخ» أنهما ما زالا ساهرَين، فاقترب بخفةٍ وحاول أن يستمع إلى ما يدور بداخلها من حديث، ولكن العربة كانت مرتفعة، ولم يكن من السهل الاستماع إلى الحديث، فقرَّر أن يصعد على بروزٍ وجده في جانب العربة.

وبهذا استطاع أن يُصبح قريبًا من مصدر الصوت.

سمع «حسبو» يقول: يجب ألَّا نتركه يتدخَّل في حياتنا بهذه الطريقة، لقد أصبح يُسيطر على كل شيء.

لعبة: وماذا نفعل؟ هل نطرده، إننا نحتاج إليه؟

حسبو: نحتاج إليه … إنه …

وقبل أن يسمع «تختخ» بقية الحوار سمع صوت أقدام مسرعة خلفه، فنظر فإذا بالسيدة العجوز تقف خلفه، وقد بدت في عينيَها نظرة مخيفة.

قفز «تختخ» قفزةً سريعة، فأصبح أمامها، فقالت له بصوتٍ خشن: ماذا تفعل هنا؟

لم يجد «تختخ» إجابةً معقولةً لوقوفه بهذا الشكل على جانب العربة، فلم ينطق بحرف!

وظن «تختخ» أن المسألة انتهت عند هذا الحد، وأنه سينصرف، ولكن العجوز رفعت يدها في حركةٍ خاطفة، ثم ضربته ضربةً قويةً في صدره، وصاحت: اذهب إلى الجحيم … امشِ من هنا، لا أُريد أن أراك مرةً أخرى في هذا المكان!

لم يجد «تختخ» أمامه شيئًا يفعله سوى أن يجري مبتعدًا، وهو يلعن غباءه لأنه نسي أن العجوز لم تخرج من خيمة «السيرك». لقد بقيتْ هناك طول الوقت، ثم جاءت لتفاجئه هذه المفاجئة القاسية، وتضربه بهذا العنف الذي لا يتفق مع مظهرها.

لم تصفُ أفكار «تختخ» إلَّا عندما وصل إلى البيت، كان كل شيء هادئًا، فصعد إلى غرفته، وخلع ثياب التنكُّر، ثم جلس يُفكِّر، ويتذكَّر حديث «حسبو» و«لعبة»: من هو الرجل الذي كانا يتحدَّثان عنه؟ هل هو «الخنفس» الذي يتدخَّل في حياتهما، أم هو البهلوان؟ وأسِف كثيرًا لأنه لم يستمع إلى بقية الحديث.

بدأ النوم يغزو رأس «تختخ»، ولكنه قبل أن ينام تذكَّر الخشب الذي يكسو عربة «حسبو» من أسفل، إنها العربة الوحيدة التي تُشبه منزلًا من دورَين، فهل هذا مخبأ؟ هل يختبئ «الخنفس» في أسفل العربة؟

وقبل أن يصل إلى إجابةٍ عن هذه الأسئلة، استسلم للنوم.

الليلة الثانية

في الصباح اجتمع المغامرون الخمسة، وكانت «نازك» قد صحبت والدها «الفار» إلى المؤتمر، وهكذا استطاع الأصدقاء أن يتحدَّثوا دون أن يخشَوا تدخُّلها، وروى لهم «تختخ» ما حدث ليلة أمس، فقال «مُحب»: لا بد أن «الخنفس» مختبئٌ في قاع العربة، وأقترح أن نُبلِّغ المفتش «سامي» ليقوم بتفتيشها، ومن المؤكَّد أنه سيعثر على «الخنفس» فيها.

تختخ: ولكن إذا حدث ولم يجده فماذا سيحدث؟ سيعرف أن رجال الشرطة يبحثون عنه في المعادي، وفي مدينة الملاهي بالتحديد، وهكذا سيهرب بعيدًا، ولن يعثروا له على أثرٍ بعد ذلك.

لوزة: وما هي خطتك القادمة؟

تختخ: سأدخل بنفسي هذه المرة إلى العربة، وسأبحث عن الباب الموصل بين أعلى العربة وأسفلها، لعلني أجد هناك دليلًا على وجود «الخنفس».

عاطف: ولكن هذه مغامرةٌ محفوفة بالمخاطر؛ فقد تلتقي «بالخنفس» وجهًا لوجه، وهو مجرمٌ خطر، ولن يتركك.

تختخ: ليس هناك طريقٌ آخر، وليكن ما يكون.

قرَّر الأصدقاء زيارة المؤتمر والحديث إلى العجوز، وبعد نصف ساعة تقريبًا كانوا هناك، فشاهدوا العجوز في مكانها تُشرف على أقفاص الفئران البيضاء. وأخذت «لوزة» تتأمَّلها في دهشة؛ فكيف استطاعت هذه العجوز ذات الوجه المغضن، والشعر الأبيض، أن تضرب «تختخ» هذه الضربة القوية؟ شيءٌ عجيب! أمَّا «تختخ» فقد اقترب من العجوز، وقد قرَّر مفاجأتها بالسؤال عن «الخنفس». وهكذا أحاط بها الأصدقاء، وأخذ «تختخ» يسألها أسئلةً عاديةً عن الفئران و«السيرك»، وحياتها، ثم فجأةً سألها: أين الخنفس؟

كانت عيناه مثبتتَين على وجهها ليرى أثر المفاجأة، ولكن وجه العجوز ظل ثابتًا كأن لا أثر للحياة فيه؛ فقد ظهر في عينَيها ومضة سريعة، ثم أجابت في هدوء: «خنفس»! ... أي «خنفس»؟! إننا لا نُربي الخنافس، فقط نربي الفئران والكلاب لألعاب «السيرك»، ولكن الخنافس! إنها حشراتٌ قذرة.

عاد «تختخ» يقول: إنني لا أقصد الخنفس، ولكن أقصد رجلًا اسمه «الخنفس».

العجوز: لا أعرف أحدًا بهذا الاسم، واتركني الآن أقوم بعملي، واذهب بأسئلتك هذه إلى الجحيم.

لم يجِد «تختخ» ما يقوله، وضايقه أسلوب العجوز في الحديث، فأشار إلى الأصدقاء فتبعوه إلى الخارج.

قضى الأصدقاء بقية النهار يتحدَّثون، وفي المساء تفرَّقوا، وعندما عاد الدكتور «الفار» و«نازك» من المؤتمر، عادت «نازك» إلى الحديث عن المتشرِّد، وكيف أن الشاويش «علي» و«تختخ» فشلا في العثور عليه في ضاحيةٍ صغيرة كالمعادي.

لم يلتفت «تختخ» إلى حديث «نازك»؛ فقد كان يُفكِّر في مغامرته القادمة ليلًا، وبعد قليل استأذن وصعد إلى غرفته.

عندما اطمأن «تختخ» إلى أن الجميع في «الصالون»، لبس ثياب التنكُّر، وتسلَّل خارجًا من البيت، دون أن يُدرك أن «نازك» كانت تُراقبه، فلم يكد يخرج حتى تبعته ومعها الكلب «زنجر»، وقد عرفته برغم تنكُّره.

سار «تختخ» مسرعًا في شوارع المعادي الهادئة، وبعد فترةٍ من الوقت أقبل على مدينة الملاهي فدخل، ودخلت «نازك» خلفه، ولكن على مسافةٍ كافية حتى لا يراها.

اتجه «تختخ» إلى حيث يقف «حكشة»، وكان هناك ولدٌ آخر يحمل الطبلة ويُساعده في اجتذاب الزبائن. فقطع «تختخ» تذكرةً ودخل إلى خيمة «السيرك»، أمَّا «نازك» فوقفت بعيدًا ترقب ما يحدث.

لم يغِب «تختخ» طويلًا؛ فقد خرج واتجه إلى حيث تقف العربات التي ينام فيها العاملون في «السيرك». كان يُريد أن ينتهز فرصة انشغالهم في العمل ويُفتِّش العربة، ومن بعيد شاهد العجوز تجلس أمام أقفاص الفئران و«لعبة» وهي تُساعدها، فأدرك أن الوقت مناسب للتفتيش.

كانت العربات خاليةً فعلًا، وهكذا صعد «تختخ» السلم الخلفي للعربة، ثم دفع بابها فانفتح، ودخل فرأى على جدران العربة صوَرًا لـ «حسبو» و«لعبة»، وللبهلوان، وعلى

الجانبَين بعض الكراسي، وعلى الأرض سجادة قديمة بالية. لم يتردَّد «تختخ» في رفعها، وصحَّ ما توقَّعه؛ فقد كان تحتها بابٌ يفتح على الجزء الأسفل من العربة.

رفع «تختخ» الباب، فكان له صوت مزعج خشي أن يسمعه أحد، فأخذ يرفعه في بطء، حتى أصبح هناك جزء كافٍ لنزوله، فانزلق إلى أسفل، وعلى ضوء بطاريته شاهد ما لم يكن يتوقَّعه! كان الجزء الأسفل من العربة كأنه غرفة في قصرٍ فاخر؛ مفروشاته جميلة، وقد امتلأ بأشياءَ ثمينة، لم يشكَّ «تختخ» أنها من المسروقات المختلفة التي جمعها «الخنفس» من عمليات سطوه الكثيرة؛ مجوهرات، تماثيل صغيرة أثرية، أجهزة تليفزيون، ملابس، وغير ذلك.

كان «تختخ» مستغرقًا تمامًا فيما حوله، فلم يستمع إلى صوت أقدام تصعد السلم الخلفي، ثم تدخل العربة، وكان القادم هو «حسبو»، الذي لم يكد يرى الباب السفلي مفتوحًا حتى صاح: من هناك؟! أدرك «تختخ» أنه وقع في فخٍّ لا فكاك منه، فانزوى في ركنٍ من الغرفة الضيقة حتى لا يراه من ينظر من فوق. وفعلًا أطلَّ رأس «حسبو» من الباب، وأخذ ينظر في الظلام دون أن يرى أحدًا وهو يهمس: من هنا؟ هل أنت يا ...!

وانتظر «تختخ» أن يقول «حسبو» الاسم الذي يتوقَّعه، ولكن بدلًا من ذلك نزل «حسبو» مدليًا جسمه إلى أسفل، ولم يكن أمام «تختخ» إلَّا شيء واحد؛ أن يُهاجمه فورًا. وهكذا قفز من مكانه كالنمر، وضرب «حسبو» برأسه في بطنه، فسقط يتلوَّى على الأرض، وفي اللحظة التالية كان «تختخ» قد تعلَّق بفتحة الباب، ثم صعد إلى فوق، ولكن «حسبو» استطاع أن يتمالك نفسه بأسرع ممَّا يتوقَّع «تختخ»، وقفز خلفه وكاد يلحق به في العربة، ولكن «تختخ» نزل مسرعًا سلم العربة، وعندما لحق به «حسبو» فوجئ بـ «زنجر» يقفز من الظلام ويُهاجمه بشراسة.

انشغل «حسبو» بتخليص نفسه من الكلب، في حين أسرع «تختخ» يجري متسترًّا بالظلام، وهو يتساءل عن سر ظهور «زنجر» في هذا المكان، ولكن تساؤله لم يستمرَّ طويلًا؛ فقد وجد «نازك» تجري بجواره، فأدرك كل شيء.

استطاع «تختخ» و«نازك» أن يخرجا من مدينة الملاهي، قبل أن يتخلَّص «حسبو» من «زنجر»، وأصبحا في الخلاء، فوقفا يلهثان من الجري، وقال «تختخ» من بين أنفاسه المتسارعة: ما الذي أتى بك خلفي؟! ردَّت «نازك» لاهثة: لقد راقبتك وأنت تصعد إلى غرفتك، ورأيت ظلك من زجاج الباب، ثم رأيتك وأنت تخرج، وعرفتك برغم تنكُّرك، وقررتُ متابعتك لأشترك معك في المغامرة.

لم يستطِع «تختخ» إلَّا أن يشكرها؛ فلولاها لوقع بين يدي «حسبو»، ولم يكن هناك من يستطيع أن يعرف ماذا كان يحدث بعدها.

وقف «تختخ» بجوار «نازك» في الظلام، يُحاول أن يُفكِّر فيما حدث إذا لم يحضر «زنجر»؛ من غير المعقول أن يترك كلبه العزيز الذي أنقذه من بين أيدي هؤلاء الناس، فإذا تأخَّر فلا بد أن يذهب إليه فورًا ويخوض من أجله أي معركة.

لم يمضِ وقتٌ طويل حتى سمع الصديقان صوت نباح قصير في الظلام، ثم ظهر الكلب الشجاع وهو يجري ببطء، وعرف «تختخ» على الفور أنه يعرج؛ فلم تكن هذه هي سرعته المعتادة.

ولم يستطِع «زنجر» القفز إلى صدر «تختخ» كالمعتاد، فانحنى «تختخ» إليه وحمله إلى صدره وهو يقول: شكرًا يا «زنجر» … لقد ضربوك أيها العزيز، ولكن هذا ثمن العمل من أجل العدالة، ومطاردة المجرمين.

قرَّر «تختخ» التحرُّك بسرعة عائدًا إلى البيت؛ خوفًا من أن يكون أحدهم قد تبع «زنجر» فيعرف مكانهم.

وفي الظلام مضى الثلاثة؛ «تختخ» و«نازك» و«زنجر» عائدين إلى البيت، وعندما اقتربوا منه قال «تختخ»: شكرًا لك يا «نازك»، وأرجو ألَّا يعلم أحدٌ بما حدث، وسأروي لك كل شيء … وبهذه المناسبة سأعترف لك بشيء … إن المتشرِّد الذي شاهدتِه في حديقة منزلنا لم يكن إلَّا أنا … إنني تنكَّرت في شكل المتشرِّد لأشغلك عني، وأضعك أمام لغزٍ تهتمين بحله وتتركيني … أمَّا الآن فسوف أُشركك في كل مغامراتنا.

وقبل أن ينتظر ردًّا منها، تسلَّل في الظلام إلى سلم الحديقة ومنه إلى غرفته، حيث خلع ثياب التنكُّر، وغسل آثار المغامرة وأوى إلى فراشه وذهنه مشغول بعشرات الأفكار عن «الخنفس» و«حسبو» والعجوز، والغرفة السرية التي تحت العربة، والمملوءة بالأشياء الثمينة التي لا يتوقَّع أحدٌ رؤيتها في مثل هذا المكان، ولم يكن قد نسي طبعًا أن يهتم بكلبه العزيز «زنجر»، وتقديم قطعة كبيرة من اللحم له.

الشاويش يتدخَّل

في الصباح قرَّر «تختخ» الاتصال بالمفتش «سامي»، وإخباره بما حدث في الليل حتى يقوم بتفتيش الغرفة السرية في العربة، ولكن المفتش لم يكن موجودًا، وقال الضابط الذي تحدَّث إلى «تختخ» إن عليه الاتصال بالشاويش ليقوم بالتفتيش اللازم.

كانت الدقائق ثمينة؛ فقد يهرب «حسبو» وأخته، وهما الوحيدان اللذان يمكن الاستدلال عن طريقهما إلى «الخنفس»، وهكذا وجد «تختخ» نفسه يركب دراجته ويُسرع ليُقابل الشاويش.

وكالمعتاد استقبل الشاويش «تختخ» في ضيق، فقال «تختخ»: اسمع يا حضرة الشاويش، إن «الخنفس» الذي تبحث أنت عنه، أبحث عنه أنا أيضًا؛ فقد أخطرني المفتش «سامي» بذلك، وأرسل لي صورته، وكل المعلومات الخاصة به، وقد استطعتُ الوصول إلى كنز «الخنفس» — إذا صحَّ أن نُسمِّيه كنزًا — وأقصد به المسروقات الكثيرة التي حصل عليها، من عمليات السطو الجريئة التي قام بها قبل القبض عليه، وأنا لا أملك سلطة تفتيش أحد، ولكنك تملك هذه السلطة، وأنا أنصح بأن تذهب فورًا، وتُفتِّش عربة «حسبو» في «السيرك»؛ فقد علمتُ أن بها مسروقات «الخنفس».

قال الشاويش باسترابة: وهل «الخنفس» هناك؟

تختخ: لو كنتُ أعرف مكان «الخنفس» لقلتُ لك، ولكني حتى الآن لم أرَه، ولم أعثر له على أثر، وقد وجدتُ من الأفضل أن نحصل على المسروقات قبل تهريبها، ونحن مستمرُّون في البحث عن «الخنفس»، فما رأيك؟

أخيرًا اقتنع الشاويش بعد أن وصف «تختخ» له مكان الكنز في الغرفة السرية، فركب دراجته واتجه إلى مدينة الملاهي، ومن بعيدٍ تبعه «تختخ» ليرَ نتائج التفتيش.

اتجه الشاويش إلى حيث تقف العربات، وسأل عن «حسبو»، ولمَّا لم يكن معه إذن بالتفتيش من النيابة كنص القانون؛ فقد كان عليه أن يلجأ إلى الحيلة.

كان «تختخ» يرقب الشاويش من بعيد، فرآه يُحدِّث «حسبو»، فاقترب منه وسمعه يقول: سمعتُ أن أحد اللصوص قد سطا على عربتك أمس، فهل سرق شيئًا؟

حسبو: على كل حال لم يكن لصًّا محترفًا، إنه متشرِّدٌ صغير كان يعمل مع البهلوان، وقد هرب عندما رآني.

قال الشاويش: هل يمكن أن أرى العربة؟

ولدهشة «تختخ» الشديدة قال «حسبو» ببساطة: تفضَّل.

واتجه الاثنان إلى العربة ودخلاها، فأسرع «تختخ» يقترب منها ويسمع ما يدور بداخلها، سمع الشاويش وهو يسأل عن باب الغرفة السرية، و«حسبو» وهو يفتح له بابها، ثم سمع صوت أقدام الشاويش وهو ينزل إلى الغرفة، فأحسَّ بقلبه يخفق بشدة؛ فالشاويش الآن قد وصل إلى المسروقات، ولكن ما حدث بعد ذلك كان شيئًا غريبًا؛ فقد خرج الشاويش وعلى وجهه علامات الغضب قائلًا لـ «حسبو»: ماذا كان يُريد هذا المتشرِّد من غرفةٍ فارغة؟ كان «تختخ» يختبئ خلف طرف العربة، وسمع ما قاله الشاويش، وأدرك كل شيء؛ لقد نقل «حسبو» المسروقات ليلًا بعيدًا، وضاع أثرٌ آخر من آثار «الخنفس».

وقبل أن يراه أحد، ركب «تختخ» دراجته، وانطلق عائدًا إلى منزله ورأسه يموج بالأفكار. كانت «نازك» في الحديقة، فاتجه إليها وقد بدا عليه الضيق واليأس، فسألته متلهِّفة: أين كنت؟ لقد بحثتُ عنك في كل مكان، فلم أعثر لك على أثر.

قال «تختخ» وهو يجلس: كنت في مغامرة فاشلة.

ثم روى لها ما حدث فقالت: على كل حال هذا أفضل من أن يهربوا جميعًا فلا نعثر لـ «الخنفس» على أثر، وفي رأيي أننا محتاجون إلى أن نُراقبهم مراقبةً دقيقةً فقد …

وقبل أن تُنهي «نازك» جملتها، ظهر الشاويش «فرقع» على باب الحديقة بوجهٍ متجهِّم، وقد سال العرق على وجهه في هذا اليوم الحار.

كان «تختخ» يتوقَّع ما سيقوله الشاويش، فأخذ ينظر إليه بهدوء، وحدث ما توقَّعه فعلًا؛ فقد وقف الشاويش أمامه قائلًا: هكذا إذن عثرت على كنز «الخنفس»! أين هو هذا الكنز المزعوم؟! وكيف سمحتَ لنفسك بخداعي، وإضاعة وقتي فيما لا فائدة فيه؟! سوف أُبلغ المفتش «سامي» بما فعلت، وإنني أُحذِّرك من التدخُّل في عملي أنت وبقية الأولاد الذين تُحيط نفسك بهم … هل تفهم؟!

ردَّ «تختخ» بهدوء: أؤكد لك يا حضرة الشاويش أن المعلومات التي قلتها لك صحيحة، ولا بد أن «حسبو» ومن معه قد هرَّبوا المسروقات.

قال «الشاويش» وهو ينصرف: إنك تُريد أن تلعب أدوار البطولة على حسابي، ولكني لن أسمح لك بذلك مرةً أخرى!

كانت «نازك» قد اتفقت مع «مُحب» و«نوسة» و«عاطف» و«لوزة» على الحضور، فلم يكد الشاويش ينصرف حتى ظهر الأربعة، وانضمُّوا إلى «تختخ» و«نازك» في الحديقة.

وبعد أن استمعوا إلى مغامرة «تختخ» الليلية، قالت «لوزة»: اسمع يا «تختخ»، إننا هذه المرة خالفنا أسلوبنا في العمل؛ فنحن لم نكتب قائمةً بالمشتبه فيهم كالمعتاد؛ حتى نستطيع متابعة كل واحد مشتبه فيه، وبذلك يمكننا العثور على «الخنفس».

تختخ: المشكلة يا «لوزة» أنه ليس هناك مشتبه فيهم على الإطلاق؛ فعندنا «حسبو» وهو بالطبع ليس «الخنفس»، وأخته «لعبة» وهي ليست «الخنفس»، وأمهما العجوز وهي ليست «الخنفس» أيضًا، والبهلوان، وقد رأيته بلا ملابس وبلا تنكُّر فلم يكن يُشبه «الخنفس» في أي شيء، فأين المشتبه فيهم لنكتب هذه القائمة؟

سكت الجميع؛ فلم يكن هناك أي ردٍّ يمكن أن يُقال، ثم قال «مُحب» بعد فترة: معنى هذا أننا لا نسير في الطريق الصحيح، ولعل «الخنفس» يعمل في مكانٍ آخر في مدينة الملاهي، بعيدًا عن «حسبو» وعن «لعبة»، فلماذا لا نُعاود البحث في المدينة؟

تختخ: على العكس؛ «فالخنفس» قريبٌ جدًّا منهما، وإلَّا كيف وصلت المسروقات إلى العربة؟ ولماذا يُعرِّض «حسبو» نفسه للقبض عليه إذا وُجدت المسروقات عنده، ما لم يكن على صلةٍ «بالخنفس»؟ بل لعله عضوٌ في عصابة «الخنفس» أيضًا.

نوسة: ولماذا لا يقوم المفتش «سامي» باستجواب «حسبو» عن هذه المسروقات، لعله يحصل منه على اعتراف؟

تختخ: لن يعترف «حسبو» طبعًا، وسيكون هذا إنذارًا آخر لـ «الخنفس» بأن الشرطة تعرف مكانه، وسوف يختفي من «المعادي» في مكانٍ آخر، قد لا يعرفه رجال الشرطة مطلقًا.

فجأةً قالت «نازك»: ما رأيكم أن ننصب فخًّا لـ «الخنفس»؟

التفت الجميع إليها وقالت «لوزة»: كيف ننصب له فخًّا ونحن لا نعرف أين هو، ولا من هو؟!

نازك: سنجعل «الخنفس» يعلم عن طريق «حسبو» أو «لعبة» أو العجوز أن هناك ثروةً يمكنه الحصول عليها بعملية سرقة بسيطة، ومثل هذا اللص لن يتردَّد في الإقدام

على هذه المغامرة، وكلُّ ما علينا أن نُراقب مكان السرقة حيث سيظهر «الخنفس»، وبهذا نعرفه.

كانت فكرة ممتازة، وافق الجميع عليها، ولكن كان المهم أولًا هو تدبير هذا الفخ، ليكون مقنعًا ودقيقًا.

الفخ

كانت فكرة «نازك» بسيطة، قالت للأصدقاء: إن عندي عقدًا من اللؤلؤ الصناعي أحضره لي أبي من «اليابان»، عندما كان في أحد المؤتمرت هناك، وهذا العقد معي الآن، فكيف يمكن تدبير فخ «للخنفس» عن طريق هذا العقد؟

أخذ الجميع يُفكِّرون، ولكنهم كانوا مقتنعين أن «تختخ» هو الذي سيضع الخطة، وأخيرًا قال «تختخ»: ستلبسين العقد، ثم نذهب إلى العجوز في المؤتمر حيث نتحدَّث أمامها عن العقد، ثم نذهب إلى مدينة الملاهي، حيث نلفت نظر «لعبة» و«حسبو» للعقد، وهم الثلاثة الذين على صلةٍ بـ «الخنفس»، وفي الليل نذهب إلى مدينة الملاهي، ومن المؤكَّد أن «الخنفس» سيُحاول الحصول على العقد هناك، وستكون «نازك» تحت رقابتنا الدقيقة، بحيث لا يستطيع «الخنفس» الحصول على العقد دون أن نراه، وسوف نتركه يأخذ العقد؛ فالمهم عندنا أن نعرف شخصيته، وبعد القبض عليه سنحصل على العقد مرةً أخرى.

وافق الأصدقاء على الفكرة بحماس، وأسرعت «نازك» إلى غرفتها، ثم عادت ومعها العقد. التفَّ الأصدقاء يتأمَّلونه، كان آيةً في الجمال ودقة الصناعة، ولم يكن في إمكان أحد أن يتصوَّر أن اللؤلؤ الجميل، هو لؤلؤ صناعي لا يُساوي سوى بضعة جنيهات. ولبست «نازك» عقدها، واتجه الجميع إلى المؤتمر.

كانت العجوز تجلس في مكانها المعتاد بجوار أقفاص الفئران، وكان بعض الزوَّار يتحدَّثون معها.

انتظر الأصدقاء حتى انصرف الزوَّار، واقتربوا من قفص الفئران، وأخذوا يتحدَّثون بحيث تسمعهم العجوز.

قال «تختخ»: إن عيون هذه الفئران تُشبه العقد الذي تلبسينه يا «نازك».

قال «مُحب»: ولكن ما الأغلى … العيون أم اللآلئ؟

قالت «نازك»: إن هذا من «اليابان»، وهو من اللؤلؤ الطبيعي، ويُساوي ثروة.

لوزة: وهذا الفأر لا يُساوي إلَّا بضعة قروش.

نوسة: وهل ستلبسين العقد عندما نذهب هذه الليلة إلى مدينة الملاهي؟

نازك: نعم؛ فأنا أحبه جدًّا، ولا أستطيع مفارقته، برغم أن والدي نبَّه عليَّ كثيرًا أن أُبقيه في البيت حتى لا يطمع فيه اللصوص.

كان «تختخ» يُراقب العجوز ليرى أثر هذا الحديث على وجهها، وكم أدهشه أن رأى وجهها جامدًا لا أثر للانفعال فيه، كما حدث قبل هذا عندما حدَّثها عن «الخنفس»!

عاد الأصدقاء إلى منزل «تختخ»، حيث اتفقوا على أن يتقابلوا في المساء للذهاب إلى مدينة الملاهي.

أمضى «تختخ» و«نازك» بقية اليوم يتحدَّثان عن المغامرة القادمة، وكان «تختخ» يخشى أن تتعرَّض «نازك» لحادثٍ أو للاعتداء عليها، ولكن «نازك» قالت: لا تخشَ شيئًا. إنني لست خائفةً من أي شيء، وسترى أنني مغامرة من نوعٍ ممتاز.

قال «تختخ»: آسف جدًّا لأنني في البداية لم أثق بك، ولكن لقد كنت ثرثارةً يا «نازك» عند حضورك، ولا أدري لماذا أصبحتِ الآن أقل كلامًا وأكثر لطفًا؟

ضحكت «نازك» ولم تُعلِّق بشيء، وفي المساء كانا مستعدَّين للذهاب إلى المدينة، فخرجا لمقابلة بقية الأصدقاء.

كانت ليلة الجمعة في مدينة الملاهي مزدحمةً بالزوار، ولم يكن هناك موضع لقدم، واتجه الأصدقاء إلى حيث يقف «حسبو» يحشو البنادق ويُطلقها، وحاولوا لفت نظره إلى عقد «نازك»، ولكن في وسط ضجة الضرب وصياح الناس، لم يكن هناك أي أمل في أن يلتفت إليهم «حسبو» مطلقًا، وهكذا انصرفوا من عنده إلى حيث كانت تقف «لعبة» بجوار العجوز، تعرضان على الناس لعبة «البخت»، ومرةً أخرى لم يلتفت إليهم أحد؛ فقد كان الكل مشغولًا بالفرجة، والضحك على الأرانب، وهكذا فشلت الخطة وبدأ الأصدقاء يُحسون أنهم كانوا واهمين، عندما تصوَّروا أنهم يمكن أن يُوقعوا «الخنفس» في فخٍّ ساذج كهذا الفخ، وقرَّروا أن يقضوا بقية الوقت في اللعب، ونسيان كل شيء يتصل بـ «الخنفس».

انهمك الأصدقاء في الجري وفي شراء الحلوى، ومضت ساعة أو أكثر وهم في غاية السعادة، وفجأةً انطفأت أنوار مدينة الملاهي كلها ... وساد الظلام، وتوقَّف كل شيء، وفي اللحظات القليلة التي تبعت إطفاء الأنوار، سمع الجميع صرخةً قوية، ثم أُضيئت الأنوار

مرةً أخرى، وكان «تختخ» أسرع الجميع إلى إدراك ما حدث؛ ففي الظلام امتدَّت يد مدرَّبة، خطفت عقد اللآلئ من صدر «نازك» واختفت في الظلام.

لم يعرف أحدٌ من زوَّار المدينة سر ما حدث؛ فقد ظنوا جميعًا أن الصرخة مصدرها طفلة تخاف الظلام، ولم يتصوَّروا أن حادث سرقة قد وقع، وهكذا عاد كل شيء إلى حاله، وعاد النشاط إلى أوصال المدينة المرحة.

أمَّا الأصدقاء فقد أحاطوا «نازك»، كان وجهها شاحبًا وأوصالها ترتجف، وقالت بصوتٍ مرتعد: لقد سرقوا العقد ... سرقوه دون أن نرى أحدًا.

قال «تختخ» بصوتٍ حزين: إن «الخنفس» أبرع ممَّا تصوَّرنا بكثير، لقد حصل على العقد دون أن يراه أحد، لقد كان أبرع منا جميعًا!

مُحب: ولكن «الخنفس» لا يمكن أن يُطفئ النور ويخطف العقد في نفس الوقت، إن هناك من يُساعده.

تختخ: طبعًا، لقد قام أحد أعوانه بإطفاء النور من المصدر الرئيسي على مدخل مدينة الملاهي، وقام هو — وربما شخص آخر من أعوانه — بخطف العقد.

لوزة: وقد نسينا ما جئنا من أجله، وانهمكنا في اللعب دون أن ندري أن «الخنفس» كان يعد ضربته.

نوسة: والآن، ماذا سنفعل؟

تختخ: لم ينقضِ وقتٌ طويل بين إطفاء النور وسرقة العقد وإعادة إضاءة النور، ومعنى هذا أن اللص كان قريبًا جدًّا من «نازك»، فلم يحتج إلى وقتٍ طويل بعد إطفاء النور، ليقترب منها ويسرق العقد.

عاطف: وماذا يعني كل هذا؟

تختخ: يعني أن اللص كان على بُعد خطواتٍ قليلة منا، فهل شاهد أحدٌ منكم شخصًا له مواصفات «الخنفس» قريبًا من «نازك» ساعة إطفاء الأنوار؟

لم يتذكَّر أحدٌ من الأصدقاء أنه رأى شخصًا معيَّنًا قريبًا من «نازك» ساعة إطفاء النور، فعاد «تختخ» يقول: من هو أقرب شخص إلينا حاليًّا في مدينة الملاهي؟ نظر الأصدقاء حولهم، فإذا بهم قريبون جدًّا من السيدة العجوز، التي كانت مشغولةً في ألعاب الفئران، فقالت «لوزة»: ليس هناك سوى السيدة العجوز، وبالطبع فإنها لا تستطيع أن تجري بسرعةٍ كافية إلى مكان «نازك»؛ لتخطف العقد، ثم تعود إلى مكانها عندما أُضيئت الأنوار.

قال «تختخ»: أيها الأصدقاء سنعود الآن إلى البيت، إن عندي بعض الأفكار التي تحتاج إلى فحص، وأرجو أن أتمكَّن من حل هذا اللغز غدًا.

نظر الأصدقاء إلى «تختخ» في استفسار، وقالت «نازك»: لماذا لا تُشركنا معك في أفكارك؟

تختخ: إنني لست متأكِّدًا بعدُ من أفكاري، ولكن هذه الليلة سوف أجد وسيلةً للتأكُّد، هيا بنا.

وفي طريق العودة لم يتحدَّث «تختخ» مطلقًا، وعندما آوى إلى غرفته في هذا المساء، كان قد استقرَّ على رأي في لغز «الخنفس»، وفي صباح اليوم التالي كانت فكرته قد نضجت تمامًا.

نهاية لغز

كان يوم السبت هو نهاية المؤتمر، وقضى الجميع يوم الجمعة في نزهةٍ على الكورنيش وفي الكازينو.

وفي المساء قال «تختخ» لـ «نازك»: سأخرج هذه الليلة متنكِّرًا في ثياب رجل عجوز، وأرجو ألَّا تتبعيني، وأعدك أنني غدًا سوف أُقدِّم لك «الخنفس» وأُعيد لك العقد.

قالت «نازك»: ألا تستطيع أن تأخذني معك؟ إنني أنفع أحيانًا كما ترى.

تختخ: لا، إنها مغامرةٌ بسيطة ولا تحتاج إلى مساعدة، إنني فقط أُريد أن أسمع شيئًا ما.

وعندما أقبل الليل ارتدى «تختخ» ثياب رجل عجوز، وأخذ طريقه إلى مدينة الملاهي سائرًا ببطء يتناسب مع مظهره.

أخذ «تختخ» مكانًا قريبًا من العجوز، وجلس يتأمَّلها. لقد قرَّر أن يُراقبها أطول فترة ممكنة؛ فهي أحد الثلاثة الذي يمكن عن طريقهم معرفة مكان «الخنفس»، وكانت ثمة فكرة معيَّنة مسيطرة على رأس «تختخ»، أراد أن يتأكَّد منها.

اقتربت الساعة من منتصف الليل، وانصرف زوَّار المدينة، وظلَّ «تختخ» في مكانه متظاهرًا بالنوم، ولكن الحقيقة أنه كان يرقب العجوز بعينَي الصقر.

عندما انصرف آخر زائر، وبدأت أنوار مدينة الملاهي تُطفأ، حملت العجوز و«لعبة» أقفاص الفئران البيضاء، واتجها ناحية خيمة «السيرك» لمقابلة المهرِّج كما يحدث كل ليلة، وبعد فترة انضمَّ إليهما «حسبو»، واختفَوا جميعًا داخل الخيمة. تحرَّك «تختخ» من مكانه محتميًا بالظلام حتى اقترب من باب الخيمة، وظلَّ واقفًا في انتظار خروجهم، ولم يطلِ انتظاره؛ فقد خرجوا جميعًا بعد أن استبدل المهرِّج ملابسه، واتجهوا ناحية مطعم مدينة الملاهي حيث يتناول الجميع طعامهم.

مرةً أخرى تحرَّك «تختخ»، ووقف مستترًا بالظلام يرقبهم وهم يأكلون، كان مهتمًّا حتى بطعامهم؛ فعن طريق الملاحظة فقط يستطيع أن يتأكَّد من الفكرة التي في رأسه.

ابتسم «تختخ» وهو يرقبهم يتناولون طعامهم؛ فقد كانت فكرته تتأكَّد، وفي النهاية اتجه جميع العاملين إلى أماكن نومهم، فاتجه المهرِّج إلى عربته، واتجه «حسبو» و«لعبة» والعجوز إلى عربتهم، فتبعهم «تختخ» مرةً أخرى، وعندما تأكَّد أنهم دخلوا جميعًا، اقترب بهدوءٍ من العربة ووقف بجوارها يستمع، وقد ركَّز حواسَّه كلها في أذنَيه؛ فقد جاءت اللحظة الحاسمة!

لم يهتمَّ «تختخ» بالحديث الدائر؛ فهو لم يكن يستطيع من مكانه أن يستمع إلى الكلمات الكاملة، ولكنه على كل حال استطاع تمييز الأصوات، وبعد أن وقف نحو نصف ساعة ابتسم ابتسامةً واسعة، ثم أخذ طريقه في الظلام إلى منزله، لقد تمَّ كل شيء، ولم يبقَ إلَّا القبض على «الخنفس».

قضى «تختخ» ليلةً ممتعة؛ فقد نام نومًا عميقًا منذ ألقى نفسه على فراشه، واستيقظ في الصباح الباكر وهو في غاية الانتعاش، وبعد أن أفطر مع الجميع قال للدكتور «الفار»: هل هذا آخر يوم للمؤتمر؟

الدكتور: نعم ... هل ستحضر؟

قال «تختخ» وهو ينظر إلى «نازك» نظرةً ذات معنى: نعم ... وهل يفوتني أن أحضر نهاية هذا المؤتمر المهم؟

قال الدكتور متعجِّبًا: وهل كان أمر المؤتمر يُهمُّك إلى هذا الحد؟

«تختخ» مبتسمًا: إنه يُهمُّني جدًّا؛ فأنا آسف يا دكتور أن أُبلغك أن أحد العاملين في المؤتمر، لصٌّ خطير هارب من السجن.

فزع الدكتور وهو يستمع إلى هذه الجملة العجيبة، كما التفت والد «تختخ» ووالدته إليه، وقال والده في دهشة: ماذا حدث لك؟! وما هذا التخريف الذي تقوله؟!

قال «تختخ» في هدوء: سوف تكتب الصحف غدًا قصةً كاملة، ولن تكون الأبحاث هي الشيء الوحيد الهام فيها، بل ستكون هناك أيضًا قصة أبرع مجرم في مصر!

ثم انطلق «تختخ» إلى التليفون، واتصل بالمفتش «سامي» الذي قال عندما سمع صوت «تختخ»: ما هي أخبارك؟ لقد سافرتُ في مهمةٍ خارج القاهرة، وعلمتُ أنك اتصلت بي، وقد أخطرني الشاويش «علي» أنك دبَّرت له مقلبًا، وجعلته أضحوكةً أمام عمَّال مدينة الملاهي.

قال «تختخ»: لا وقت للرد على اتهامات الشاويش، وكل ما أرجوه أن تحضر سريعًا؛ لأنني سأضع بين يديك اللص البارع «الخنفس»!

قال المفتش منفعلًا: صحيح؟!

تختخ: طبعًا، وسيعرف الشاويش «علي» أنني لم أكن أخدعه، ولكن سوء الحظ فقط هو السبب.

المفتش: وأين نلتقي؟ ومتى؟

تختخ: في مؤتمر علماء الحيوان المنعقد في المعادي، في الساعة العاشرة تمامًا.

وبعد أن انتهت المكالمة، تحدَّث «تختخ» إلى الأصدقاء، وطلب منهم الحضور إلى نفس المكان، في نفس الموعد.

في الساعة العاشرة كان أمام مبنى المؤتمر تشكيلة عجيبة من الناس يقفون معًا؛ والد «تختخ» ووالدته اللذان اهتمَّا بحديث «تختخ»، والدكتور «الفار» وابنته «نازك»، والمفتش «سامي» ومعه أحد مساعديه، و«مُحب» و«نوسة» و«عاطف» و«لوزة»، وغيرهم ممن يُهمُّهم أمر هذا المؤتمر العلمي الكبير.

قال المفتش «سامي» موجِّهًا حديثه إلى «تختخ»: هذا أول لغز يحضر نهايته كل هذا العدد من الأصدقاء، ولعلك تنجح في الحل، وإلَّا كان موقفك صعبًا للغاية.

ابتسم «تختخ» وهو يقول: إنني متأكِّدٌ من الحل يا حضرة المفتش، وإذا لم يحدث شيء غير متوقع؛ فسيقع «الخنفس» بين يدَيك بعد دقائقَ قليلة.

دخل الجميع إلى مبنى المؤتمر، وكان «تختخ» يسير أمامهم، ولم يتردَّد الدكتور «الفار» في أن يتبعهم هو الآخر؛ فقد كان يُريد أن يعرف المجرم الذي تحدَّث عنه «تختخ».

اتجه «تختخ» إلى معرض الحيوانات التابع للمؤتمر، حيث كانت السيدة العجوز تجلس بجوار أقفاص الفئران البيضاء، وعددٌ آخر من الموظفين يجلس بجوار بقية الأقفاص.

ودون كلمة واحدة اتجه «تختخ» إلى السيدة العجوز، فنظرت إليه في عداء، ولدهشة الجميع، مدَّ «تختخ» يده، وجذب شعرها الأبيض الظاهر من تحت الطرحة!

انطلقت عدة صرخات من الحاضرين لهذه القسوة التي أبداها «تختخ»، حتى إن والدته تقدَّمت لتمسك به، ولكن كم كان فزعهم عندما شاهدوا الشعر الأبيض قد خرج وانكشف رأس العجوز عن شعرٍ أسود خشن! وأسرع «تختخ» يقول: هذا هو «الخنفس»، اقبضوا عليه!

ولكن قبل أن يتحرَّك أحد، كانت العجوز — التي تبدو وكأنها عجوز مهدَّمة لا تستطيع السير خطوات — كانت قد انطلقت تجري مسرعة، وقفزت من نافذةٍ تفتح على أحد الدهاليز، وأسرع الجميع خلفها.

كان «تختخ» أول المطاردين، فرأى العجوز وهي تدخل قاعة المؤتمر، حيث كان يجلس عشرات من العلماء والأطباء، انطلقت منهم صيحات الدهشة وهم يرون عجوزًا في ملابسها السوداء، تجري بسرعة هائلة يتبعها ولدٌ سمين لا يكاد يلحق بها!

بينما كانت المطاردة مستمرَّةً داخل مبنى المؤتمر، أسرع المفتش «سامي» إلى الخارج، ووقف هادئًا؛ فقد كان يعرف نتيجة المطاردة مقدَّمًا، وبعد لحظاتٍ فُتح الباب الرئيسي للقاعة، وظهرت العجوز وهي تجري و«تختخ» خلفها والأصدقاء، ولم تكد العجوز تظهر حتى انقضَّ عليها عددٌ من رجال الشرطة، الذين كان المفتش قد أحضرهم من الصباح وأحاطوا بالمبنى.

قال المفتش وهو يتلقَّى «تختخ» بين ذراعَيه: على مهلك ولا داعي للمطاردة. لقد أحضرت رجالي منذ الصباح وأحاطوا بالمبنى، ولم يكن أمام «الخنفس» فرصة للهرب.

كانت العجوز أو «الخنفس» بين يدَي رجال الشرطة، فتقدَّم «تختخ» بهدوءٍ ومدَّ يده، وانتزع قناعًا كان يضعه على وجهه، وتحت القناع ظهر «الخنفس» بوجهه الشرير، «والندبة» بين شفته العليا وأنفه، فقال المفتش: خذوه إلى السجن، وخذوا منه اعترافًا بكل سرقاته، وأين يُخفي المسروقات.

قال «تختخ»: ضمن المسروقات يا حضرة المفتش عقدٌ يخص صديقتنا «نازك»، كان جزءًا من الأدلة التي قادتنا إلى «الخنفس»، صحيحٌ أنه عقد رخيص، ولكنه تذكار من الدكتور «الفار» إلى ابنته الغالية.

نظر الدكتور إلى «نازك»، فاصطبغ وجهها بحمرة الخجل وقالت: معذرةً يا أبي، ولكني أردت أن أُثبت للأصدقاء أنني مغامرة مثلهم.

دعا المفتش الجميع لتناول المرطبات على حسابه في الكازينو، وليستمعوا إلى «تختخ» يشرح لهم كيف توصَّل إلى الاشتباه في العجوز.

كانت نظرات الإعجاب تحيط بـ «تختخ» من الجميع وهو يقول: كانت البداية لكمةً قويةً من العجوز، وكنتُ ليلتها متنكِّرًا في شكل ولد متشرِّد يبحث عن عمل، وضبطتني العجوز وأنا أتجسَّس عليهم. لم أُصدِّق أن عجوزًا في السبعين من عمرها تسير بمشقة، يمكن أن تضرب مثل هذه اللكمة القاسية، وأخذتُ أُفكِّر في حقيقتها. ثم كانت بداية الشك هي وجود «حسبو» و«لعبة»، اللذين يعملان معًا في «السيرك»، مع الفئران البيضاء بالذات، والتقرير الخاص بـ «الخنفس» جاء فيه أنه متخصصٌ في تدريب هذا النوع من الفئران، وأن له ابن عم وابنة عم يعملان معًا في مدينة الملاهي … ثم العلاقة التي تربطهما بالسيدة

العجوز التي تعمل نصف اليوم في المؤتمر، ونصفه الآخر في الملاهي، وعملها في المكانَين متعلقٌ بالفئران البيضاء، ثم كانت ضربة السيدة العجوز القوية، التي جعلتني أشك في شخصيتها.

تبع ذلك وجود المسروقات في العربة الخاصة بهم، ممَّا جعلني أتأكَّد من وجود علاقة معيَّنة تربط هذه المجموعة بـ «الخنفس»، إن لم يكن هو شخصيًّا أحد أفرادها.

ثم كان الدليل القوي، وهو ما لاحظته من جمود تعبير وجهها، عندما سألتها فجأةً عن «الخنفس»، وكذلك عندما تحدَّثت أمامها عن عقد اللؤلؤ؛ ففي كل مرة لم يكن يظهر على وجهها أي أثر للانفعال، ومهما يكن الإنسان ثابت الأعصاب فلا بد أن عضلةً أو عصبًا، يتحرَّك في وجهه عند سماع شيء هام، وهكذا فكَّرت في أن يكون «الخنفس» يلبس قناعًا من الجلد الخفيف المغضن، بحيث يُخفي وجهه والندبة التي على الشفة، وهي أكبر دليل عليه.

قال الدكتور «الفار»: أُريد أن أعرف ما دخل عقد ابنتي «نازك» في هذا الموضوع؟

قال «تختخ» ضاحكًا: قد صنعنا منه فخًّا لـ «الخنفس». لقد أغريناه أن يتقدَّم لسرقته لنعرفه، ولكنه كان أبرع منا؛ فقد أطفأ أنوار مدينة الملاهي بواسطة أحد أعوانه، ثم خطف العقد من رقبة «نازك» في الظلام، ولكنه وقع في خطأ؛ لقد تمَّت عملية السرقة في ثوانٍ قليلة، ولم يكن من الممكن لأحدٍ أن يسرق العقد إلَّا إذا كان قريبًا جدًّا من «نازك»، ومرةً أخرى ظهرت العجوز في الصورة ... فقد كانت قريبةً جدًّا من «نازك» ساعة السرقة، وهذا أعطانا سببًا آخر للتفكير ...

وسكت «تختخ» قليلًا وشرب بعض الماء، وأنظار الجميع معلَّقة به، ثم مضى يقول: الدليل الهام عثرت عليه أمس فقط ... وكان هو أفضل دليل؛ فقد تبعت «حسبو» و«لعبة» والعجوز، وهم يدخلون إلى عربتهم آخر الليل، وأخذت أستمع إليهم، وبدلًا من أن أسمع صوت رجل واحد هو «حسبو»، وصوت سيدتَين هما «لعبة» والعجوز، سمعت صوت رجلَين هما بالطبع «حسبو» و«الخنفس»، بعد أن ترك صوته على طبيعته ولم يتصنَّع صوت امرأة، وهنا أدركت تمامًا أن العجوز هو «الخنفس»، خاصةً أنه يُجيد تدريب الحيوانات على اللعب، والعجوز تُجيد هذا العمل.

لوزة: ولكن العجوز لم تكن لها يدان معروقتان ... أي فيهما عروق بارزة كما لـ «الخنفس».

تختخ: ذلك شيءٌ سهل جدًّا؛ لقد كان «الخنفس» يلبس قفَّازًا بلون اللحم تمامًا، كما كان يلبس قناعًا يُخفي وجهه.

لم يكن من الممكن أن ينتهي اللغز دون أن يظهر الشاويش «فرقع»، الذي أقبل مسرعًا ليُحيي المفتش الذي قال له: أرجو أن تذهب فورًا وتقبض على «حسبو» و«لعبة» وتستجوبهما عن مكان المسروقات.

الشاويش: ولكني لم أجد المسروقات التي ادَّعى «تختخ» وجودها.

المفتش: سيقول لك «حسبو» أين أخفاها ... أرجو أن تُسرع.

وأسرع الشاويش يجري، في حين كانت «نازك» قد عادت لثرثرتها القديمة، وانهالت على «تختخ» بمزيدٍ من الأسئلة.


هنداوي